محاضرات مقياس مدخل إلى الأدب العالمي السنة الثانية دراسات أدبية.

الأستاذة بور فاطمة.

المحاضرة الأولى: المفهوم والمصطلح

مصطلح العالمية بالإنجليزية هوUNIVERSALISM من كلمةUNIVERSAL وتعني العلمي أو الكوني.

ويعد الشاعر الألماني يوهان فولفغانغ فون غوته "Johann Wolfgang von Goethe 1832" :(أول من استخدم مصطلح الأدب العالمي، وأراد به الأدب الذي يرقى إلى مستوى الإنسانية في موضوعاته وفنه، ولا يتخلى في الوقت نفسه عن بعده القومي أو الوطني أو المحلي.

وبالفعل فقد تحقق الأدب العالمي في شعر شعراء مناضلين دافعوا عن الإنسان، ودعوا إلى الحرية والكرامة والعدالة الإنسانية، أمثال الشاعر التركي «ناظم حكمت»، والشاعر التشيلي «بابلو نيرودا»، والروائي "غابرييل غارثيا ماركيز."

لكن إذا حاولنا تحديد مصطلح الأدب العالمي فإننا نجد أنفسنا أمام مفارقات فكرية وأيديولوجية قد صعبت تحديد المصطلح، هذه المفارقات التي جعلت كل واحد ينظر إلى الأدب العالمي من زاويته الضيقة وبالتالي سنجد أربع اتجاهات في هذا الشأن :

الاتجاه الأول: ينظر للآداب العالمية على أنها المحصلة الكمية للآداب القومية لكافة الشعوب طوال التأريخ البشري-بصرف النظر عن المستوى الفني والجمالي لنتاجاتها-بيد أن هذا التعريف يجعل من الأدب العالمي شيئاً غامضاً وفضفاضاً، لا يمكن حصره ويصعب دراسته لأن أي باحث يستحيل عليه الالمام بكل ما جادت به قرائح البشر عبر العصور.

الاتجاه الثاني: يرى في الأدب العالمي النماذج الإبداعية المختارة، التي أبدعتها البشرية بأسرها. وهذا المعنى لا يشمل النتاجات متوسطة القيمة أو الظواهر السطحية الشائعة في الآداب القومية، وإنما يقتصر على الآثار الإبداعية ذات القيمة الفنية والجمالية العالية. وبذلك يختزل ويهمش الكثير من الأعمال الفنية القومية، لكن في هذا الاتجاه نجد أن معظم الباحثين الأوروبيين يقرّون أن الأدب الأوروبي الكلاسيكي والمعاصر هو الذي يمثل الأدب العالمي.

وأنصار هذا الرأي لا يتحدثون عن أوروبا كمفهوم جغرافي، بل يتصورونها كمفهوم روحي. أي أن الأدب العالمي هو الأدب المتشبّع " بالروح الأوروبية " وأن هذا الأدب لا يمكن تمثله إلا من خلال منظور الثقافة الأوروبية. وهذه وجهة نظر أوروبية ضيقة مجحفة في حق الآداب الأخرى، فآداب الشعوب الشرقية مثلا في نظرهم تقع خارج نطاق الأدب العالمي، لأن نتاجاتها لم تصبح بعد في متناول أيدي البشرية بأسرها. بل منهم من يستثني حتى الآداب (الهمجية) الغريبة من الأدب العالمي. ويدعون إلى نبذ الفلكلور وطرحه خارج نطاق روائع الأدب العالمي .

الاتجاه الثالث: يرى هذا الاتجاه أن الأدب العالمي ينتج عن عملية التأثير والإثراء المتبادل للآداب القومية، والتي تظهر في مرحلة متقدمة من التطور الحضاري للبشرية. وهذا ما نلمسه بوضوح في قول غوتة: " إننا نود أن نعيد إلى الأذهان من جديد أن مسألة توحيد العقليات الشعرية أمر مستحيل. فالحديث هنا يدور حول تعريف الشعوب بعضها ببعض، وليس عن أي أمر سواه. وحتى إذا اخفقت الشعوب في إقامة علاقات محبة متبادلة فيما بينها، فإنها ستتعلم على الأقل كيف تتحمل بعضها بعضاً.

وهذا بالفعل ما أصبح سهل المنال بفضل التقدم التكنولوجي، وخاصة في مجال الاتصالات ووسائل الأعلام الحديثة، فقد ساعدت هذه الأخيرة في تقريب ثقافات الشعوب المختلفة وآدابها وفي النضج السياسي والتكامل الروحي على نحو متسارع بمضي الزمن، ولا نعني بذلك زوال الحدود الجغرافية أو ابتدال القيم وضياعها، بل التفاعل بين كافة القيم الإنسانية النبيلة، التي تسهم في رقي المجتمعات والأمم.

الاتجاه الرابع: ينظر للأدب العالمي على أنه الصفات العامة التي يتسم بها تطور آداب مختلف الشعوب والمناطق في جميع العصور وقد كان مكسيم غوركي أول من أشار إلى وجود مثل هذه الصفات حين كتب يقول " إنه لا يوجد أدب عالمي لأنه لا توجد لحد الآن لغة مشتركة بين جميع شعوب الأرض، ولكن الأعمال الأدبية لجميع الكتاب مشبّعة بوحدة المشاعر والأفكار والآراء الإنسانية العامة، وبوحدة الآمال لإمكانية تحقيق حياة أفضل"، ولعل هذا التفسير هو الأقرب إلى الفهم الحديث للمصطلح، ونحن ندرك اليوم بجلاء أن القيم الشعبية والقومية الحقيقية هي في الوقت ذاته قيم إنسانية شاملة.

فمصطلح عالمية الأدب ينطلق أساساً من تجاوز الأدباء حدود ثقافتهم القومية والانفتاح على العالمية الواسعة.

المحاضرة الثانية: الآداب الشرقية القديمة

يرى جورج هيجل أن في العالم الشرقي بدأت الخطوة الأولى للروح وأنه" في آسيا أشرق ضوء الروح ومن تم بدأ التاريخ الكلي" ، فمجد العديد من المفكرين الشرق وتأثروا بحكمتهم .

فبلغت حضارات الشرق القديم أوج ازدهارها وقدمت للعالم القديم الكثير من الابتكارات التي خدمت المشترك الحضاري الإنساني، وجعلت الشرق مركز إشعاع حضاري بامتياز، ما جعل مركز الثقل الحضاري العالمي يميل منذ فجر التاريخ لصالح الشرق القديم. ففي العراق، ومنذ الألف الخامس ق.م، ظهرت إحدى أقدم الحضارات الإنسانية، وهي الحضارة السومرية، وإلى السومريين تعود أولى المحاولات الفلسفية الجريئة الخاصة بأصل الكون والوجود والأساس في مكونات المادة. وإلى هؤلاء أيضا ترجع أعظم مساهمة في المشترك الحضاري الإنساني من خلال ابتكار مرحلة مهمة من مراحل تطور الكتابة، ويتعلق الأمر بالكتابة المسمارية. فقد بدأ المؤرخون السومريون من عام 2000ق.م يكتبون ماضيهم ويسجلون حاضرهم ليخلفوه لمن يجيء بعدهم، ووصلت إلينا أجزاء هذه السجلات لكنها لم تصل إلينا في صورتها الأصلية بل جاءت مقتبسة في تاريخ المؤرخين البابليين، على أن من بين ما بقي من هذه الكتب في صورته الأصلية لوحا عثر عليه في "نيبور" كتب عليه الأصل السومري البدائي لملحمة جلجامش (والتي طورت في العهد البابلي) وفي نفس المجال الجغرافي تقريبا ازدهرت الحضارة الأكادية في أواخر الألف الثالث ق.م، التي عرفت تقدما كبيرا في العمارة والفنون. ومنذ الألف الثالث ق.م ظهرت أيضا الحضارة الأشورية التي تميزت بتوسعات مجالية كبيرة جعلت الآشوريين ينشؤون إحدى أكبر الإمبراطوريات في تاريخ الشرق القديم.

بعد سقوط إمبراطورية الآشوريين خلفتها في العراق القديم الحضارة الكلدانية التي ساهمت بدورها في استمرار الإشعاع الحضاري للشرق القديم، كما شهدت المنطقة بروز إحدى أهم الحضارات الشرقية، وهي الحضارة البابلية منذ القرن 18 ق.م، التي تميزت بازدهار المعارف والعلوم المختلفة، وإليها تعود إحدى أقدم التشريعات في تاريخ الإنسانية والتي تعد من أولى الشرائع المتكاملة في العالم حيث تجمع بين القانونين المدني والعقوبات فضلا عن الأحوال الشخصية، ويتعلق الأمر بقانون حمورابي. وفي العصر البابلي حدث تطور مهم في العلوم والمعارف البشرية، حيث انتقلت من أطوارها العملية إلى طور التدوين والبحث، بحيث يصح أن نرجع بداية ظهور العلوم البشرية الحقة إلى هذا العصر .

ولم تذر هذه الحضارة من الأدب الكثير إذ خلفت ملحمتان لهما أهمية عظمى، أولهما ملحمة "أنيوما إيليش" أو تعرف بـ "ملحمة الخلق" وتروي كيف أن ("مردوك (Marduk "إله مدينة بابل ذبح التنين (تيامات (Tiamatوخلق من جسمه العالم وكافأته الآلهة على صنيعة بأن وهبته حكما عالميا، أما الثانية فهي ملحمة (جلجامش (Gilgameshوتعتبر أهم إنتاج أدبي باللغة الأكادية يعتقد أنها ألفت ما بين (668. 627 ق.م) و هي مكتوبة بخط مسماري على 12 لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853 م في موقع أثري عُثر عليه بالصدفة وعرف فيما بعد أنه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري آشوربانيبال، في "نينوى" في العراق ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني. وتحمل الألواح في نهايتها توقيعا لشخص اسمه "شين إيقي إونيني" الذي يتصور البعض أنه كاتب هذه الملحمة والتي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان.

يروي هذا النص العريق قصة بطل سومري هو جلجامش ورفيقه (أنكيدو (Enkidu وتضيف عنصرا قصصيا جديدا هو سعي جلجامش ليظل خالدا بعد وفاة صديقه، وما يثير الاهتمام في هذه الملحمة الرواية البالية لقصة الطوفان المشابهة لطوفان سيدنا نوح الواردة في التوراة والتي قصها على جلجامش أحد الناجين من الغرق وهو "أوتنا بشتيم(Utna pishtim) "

تبدأ الملحمة بالحديث عن جلجامش ملك أورك الذي كانت والدته إلهة خالدة ووالده بشرا فانيا ولهذا قيل بأن ثُلثيه إله والثلث الباقي بشر. وبسبب الجزء الفاني منه يبدأ بإدراك حقيقة أنه لن يكون خالدا. تجعل الملحمة جلجامش ملكا غير محبوب من قبل سكان أورك حيث تنسب له ممارسات سيئة منها ممارسة الجنس مع كل عروس جديدة، وأيضاً تسخير الناس في بناء سور ضخم حول أورك العظيمة.

ابتهل سكان أورك للآلهة بأن تجد لهم مخرجا من ظلم جلجامش فاستجابت الآلهة وقامت إحدى الإلهات، واسمها أرورو، بخلق رجل وحي كان الشعر الكثيف يغطي جسده ويعيش في البرية يأكل الأعشاب ويشرب الماء مع الحيوانات؛ أي أنه كان على النقيض تماما من شخصية جلجامش. ويرى بعض المحللين أن هناك رموزا تدل على الصراع بين الناس في الحياة المدنية التي بدأ السومريون بالتعود عليها تدريجيا بعد أن غادروا حياة البساطة والزراعة ويمثل هذا الصراع شخصية أنكيدو.

كان أنكيدو يخلص الحيوانات من مصيدة الصيادين الذين كانوا يقتاتون على الصيد، فقام الصيادون برفع شكواهم إلى الملك جلجامش؛ فأمر إحدى خادمات المعبد بالذهاب ومحاولة إغراء أنكيدو ليمارس الجنس معها؛ وبهذا تبتعد الحيوانات عن مصاحبة أنكيدو ويصبح أنكيدو مروضا ومدنيا. حالف النجاح خطة الملك جلجامش،

وبدأت خادمة المعبد – وكان اسمها شمخات تعمل خادمة في معبد الآلهة عشتار–بتعليم أنكيدو الحياة المدنية؛ ككيفية الأكل وارتداء اللباس وشرب النبيذ، ثم تبدأ بإخبار أنكيدو عن قوة جلجامش وكيف أنه يدخل بالعرائس قبل أن يدخل بهن أزواجهن. ولما عرف أنكيدو بهذا قرر أن يتحدى جلجامش في مصارعة ليجبره على ترك تلك العادة السيئة. يتصارع الاثنان بشراسة؛ فهما متقاربان في القوة، ولكن الغلبة في النهاية كانت لجلجامش، حيث اعترف أنكيدو بقوة جلجامش، وبعد هذه الحادثة يصبح الاثنان صديقين حميمين.

يحاول جلجامش دائما القيام بأعمال عظيمة ليبقى اسمه خالدا؛ فيقرر في يوم من الأيام الذهاب إلى غابة من أشجار الأرز؛ فيقطع جميع أشجارها، وليحقق هذا عليه القضاء على حارس الغابة، وهو مخلوق ضخم وقبيح اسمه خومبابا. ومن الجدير بالذكر أن غابة الأرز كانت المكان الذي تعيش فيه الآلهة ويعتقد أن المكان المقصود هو غابات أرز لبنان.

يبدأ جلجامش وأنكيدو رحلتهما نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة "شمش" إله الشمس الذي كان أيضا إله الحكمة عند البابليين والسومريين وأثناء الرحلة يرى جلجامش سلسلة من الكوابيس والأحلام لكن أنكيدو الذي كان في قرارة نفسه متخوفا من فكرة قتل حارس الغابة يطمئن جلجامش بصورة مستمرة على أن أحلامه تحمل معاني النصر والغلبة.

عند وصولهما الغابة يبدأ كل منهما بقطع أشجارها فيقترب منهما حارس الغابة "خومبابا" ويدور قتال عنيف بينهم ولكن الغلبة تكون لجلجامش وأنكيدو حيث يقع "خومبابا" على الأرض ويبدأ بالتوسل منهما كي لا يقتلاه ولكن توسله لم يكن مجديا حيث أجهز الاثنان على خومبابا وأردياه قتيلا. أثار قتل حارس الغابة غضب إلهة الماء "أنليل" حيث كانت "أنليل" هي الإلهة التي أناطت مسؤولية حراسة الغابة بخومبابا.

بعد مصرع حارس الغابة الذي كان يعتبر وحشا مخيفا يبدأ اسم جلجامش بالانتشار وتنتشر شهرته في الآفاق فتحاول الإلهة "عشتار" التقرب منه بغرض الزواج لكن جلجامش يرفض العرض فتشعر "عشتار" بالإهانة وتغضب غضبا شديدا فتطلب من والدها "آنو"–إله السماء– أن ينتقم لكبريائها فيقوم "آنوط بإرسال ثور مقدس من السماء لكن أنكيدو يتمكن من الإمساك بقرن الثور ويقوم جلجامش بالإجهاز عليه وقتله.

بعد مقتل الثور المقدس يعقد الآلهة اجتماعا للنظر في كيفية معاقبة جلجامش وأنكيدو لقتلهما مخلوقا مقدسا فتقرر الآلهة قتل أنكيدو لأنه كان من البشر أما جلجامش فكان يسري في عروقه دم الآلهة من جانب والدته التي كانت إلهة فيبدأ المرض المنزل من الآلهة بإصابة أنكيدو الصديق الحميم لجلجامش فيموت بعد فترة.

بعد موت أنكيدو يصاب جلجامش بحزن شديد على صديقه الحميم حيث لا يريد أن يصدق حقيقة موته فيرفض أن يقوم أحد بدفن الجثة لمدة أسبوع إلى أن بدأت الديدان تخرج منها. يقوم جلجامش بدفن أنكيدو بنفسه وينطلق شاردا في البرية خارج "أورك" وقد تخلى عن ثيابه الفاخرة وارتدى جلود الحيوانات. بالإضافة إلى حزن جلجامش على موت صديقه الحميم أنكيدو كان جلجامش في قرارة نفسه خائفا من حقيقة أنه لابد من أن يموت يوما لأنه بشر والبشر فانٍ ولا خلود إلا للآلهة. بدأ جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية ولكي يجد سر الخلود عليه أن يجد الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود وكان اسمه "أوتنابشتم" والذي يعتبره البعض مشابها جدا إن لم يكن مطابقا لشخصية نوح في الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام. وأثناء بحث جلجامش عن "أوتنابشتم" يلتقي بإحدى الإلهات واسمها "سيدوري" التي كانت آلهة النبيذ وتقوم "سيدوري" بتقديم مجموعة من النصائح إلى جلجامش والتي تتلخص بأن يستمتع جلجامش بما تبقى له من الحياة بدل أن يقضيها في البحث عن الخلود وأن عليه أن يشبع بطنه بأحسن المأكولات ويلبس أحسن الثياب ويحاول أن يكون سعيدا بما يملك لكن جلجامش كان مصرا على سعيه في الوصول إلى "أوتنابشتم" لمعرفة سر الخلود فتقوم "سيدوري" بإرسال جلجامش إلى الطَوَّاف "أورشنبي" ليساعده على عبور بحر الأموات ليصل إلى "أوتنابشتم" الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود.

عندما يجد جلجامش أوتنابشتم يبدأ الأخير بسرد قصة الطوفان العظيم الذي حدث بأمر الآلهة وقصة الطوفان هنا شبيهة جدا بقصة طوفان نوح، وقد نجى من الطوفان أوتنابشتم وزوجته فقط وقررت الآلهة منحهم الخلود. بعد أن لاحظ أوتنابشتم إصرار جلجامش في سعيه نحو الخلود قام بعرض فرصة على جلجامش ليصبح خالدا إذا تمكن من البقاء مستيقظا دون أن يغلبه النعاس لمدة 6 أيام و7 ليال بهذا سيصل إلى الحياة الأبدية ولكن جلجامش يفشل في هذا الاختبار إلا أنه ظل يلح على أوتنابشتم وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له كي يحصل على الخلود. تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة على جلجامش فتدله على عشب سحري تحت البحر بإمكانه إرجاع الشباب إلى جلجامش بعد أن فشل مسعاه في الخلود، يغوص جلجامش في أعماق البحر في أرض الخلود دلمون (البحرين حاليا) ويتمكن من اقتلاع العشب السحري .

تنتهي القصة بعودة جلجامش إلى أورك بعد حصوله على العشب السحري الذي يعيد نضارة الشباب ويقرر أن يجربه على رجل طاعن في السن قبل أن يقوم هو بتناوله ولكن في طريق عودته يتوقف ليغتسل في النهر فتسرق العشب إحدى الأفاعي وتتناوله.

يرجع جلجامش إلى أورك خالي الوفاض وفي طريق العودة يشاهد السور العظيم الذي بناه حول أورك فيفكر في قرارة نفسه أن عملا ضخما كهذا السور هو أفضل طريقة ليخلد اسمه. في النهاية تتحدث الملحمة عن موت جلجامش وحزن أورك على وفاته.

وفي مصر، ومنذ الألف الثالث ق.م، ساهمت الحضارة الفرعونية بقسط كبير في تطور الحضارة الإنسانية، ومارست تأثيرا كبيرا على باقي شعوب العالم القديم. فقد كان للفراعة دور كبير في ظهور الكتابة من خلال استعمال الكتابة الهيروغليفية، وبها دونوا أساطيرهم الدينية وما توصلوا إليه من تطور في شتى العلوم على ورق البردي وباستعمال الحبر. كما برع المصريون القدماء في الأدب الديني الذي تناول العقائد الدينية ونظرياتهم عن الحياة الأخرى وأسرار الكون والأساطير المختلفة للآلهة.

ومنذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ظهر على مسرح الشرق القديم شعب آخر تسلم مشعل الحضارة الشرقية القديمة وأثراها بإبداعاته وابتكاراته الخاصة، ويتعلق الأمر بالشعب الفينيقي الذي استوطن الشريط الساحلي السوري اللبناني. لقد نقل الفينيقيون بحكم موقعهم في شرق المتوسط، وبسبب أعمالهم التجارية التي مكنتهم من التواصل مع شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، إبداعات حضارات الشرق القديم إلى مستوى "العالمية"، وجعلوا إرث حضارات الشرق القديم في متناول الحضارات الأوربية القديمة، ولقد تمكن هذا الشعب الشرقي القليل العدد من تحقيق إنجازات سوف يخلدها التاريخ وإلى الأبد، ولعل أبرزها على الإطلاق هو اختراع الكتابة الأبجدية وتقليص عدد الرموز الكتابية، التي كان قد توصل إليها السومريون والمصريون قبلهم، إلى عدد محدود من الحروف ذات صورة سمعية محددة.

ومن أهم الأساطير الفنيقية أسطورة" أوربا وقادوموس" والتي تروي أن الإله زيوس كبير أرباب اليونان قام باختطاف الجميلة "أوروبا" ابنة أجينور ملك صور بعد أن حول نفسه إلى ثور ومضى بها عبر البحر، أمر أجينور ابنه قادوموس أن يذهب للبحث عن شقيقته ولا يعود ألاّ وهي معه، فأخذ الابن برفقته والدته وشقيقيه، ولم يبق مع الأب غير الابن فوينيقس فينيق الذي مثل فكرة بلاد فنيقيا، وقد باءت محاولة البحث عن الشقيقة بالفشل فماتت الأم حزناً على ابنتها أما الأشقاء الثلاثة فلم يرجعوا خوفا من والدهم.

ومن أهم الآداب في الشرق القديم أيضا الأدب الهندي القديم، بدأ الأدب الهندي بالفيدا، وفيدا هي كلمة سنسكريتية تعني المعرفة. وكانت هذه سلسلة من النصوص المقدسة في اعتقادهم، تستعمل في الطقوس الدينية والقرابين الوثنية، وتشكّلت في أشكالها الأولية من اللغة السنسكريتية القديمة (المعرفة السنسكريتية). وحتى في الأزمنة الحديثة، تُعدّ الفيدا حجر الأساس في الديانة الهندوسية. وأقدم صيغ ونصوص الفيدا هي ما يُسمى فيدا التجهيز أو الإعداد، التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ومعظمها تراتيل للآلهة الفيدية .

وقد كتبت ملاحق نثرية عديدة للفيدا السابقة لعهد النصرانية. فأولاً كانت "البراهمانا"؛ أي: تفسيرات الكهنة للمذهب و"الأرانيكا" أي: بحوث الغابة، التي تناقش وظيفة وغرض طقوس القربان، وتتأمل في العلاقة بين الإنسان والعالم. والنصوص اللاحقة والمسماة "الأبانيشاد" أي: التعاليم الروحية تُكملُ هذا البحث في طبيعة الحياة. وتعدّ هذه التعاليم أعمالاً عظيمة في الفكر الروحي والفلسفي.

أما الملاحم الشعرية فأشهرها ملحمة "المهابهارتا" أو ما يسمى أيضا "البهارتا العظيم" أو "كبرى مآثر أبناء بهرتا" واحدة من الملحمتين السنسكريتيتين اللتين شكَّلتا معًا التربةَ الخصبة والمعينَ الثرّ للأدب الهندوسي، الحكمي والدنيوي، اللاحق برمته. ومتى جيء على ذكر الملحمة، بالتعريف، فالمقصود هو المهابهارتا الذي يشكل بامتداده الطويل مئة ألف دوبيت (بيتان من الشعر برويٍّ واحد.(

وبداية تأليف هذا العمل الملحمي العملاق تعود، بحسب الدراسات، إلى الفترة ما بين عامَي 500 و400 ق م .

وتعد الرامايانا الملحمة الثانية بعد المهابهارتا، تقدم صورة واضحة عن الفكر والدّين في الحضارة الهندوسية والهند القديمة، وقد ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد على هيئة تراتيل شعرية، وظلت الملحمة تطور ويضاف إليها على مدى القرون، وتنسب صياغتها النهائية إلى الشاعر الهندي فالميكي في القرن الأول قبل الميلاد، تتكون الملحمة من 24 ألف بيت موزعة في سبعة فصول، وقد أضيف الفصل السابع بعد فترة طويلة من تأليفها، وفيها يتحدّث الشاعر فالميكي عن الملك الصالح راما ومعركته مع الشيطان رافانا.

وتأتي بعد ذلك النصوص المسماة بيورانا؛ أي: المعرفة التقليدية، والبيورانا الرئيسية هي 18 مجموعة موسوعية للقصص والأساطير. وقد جُمعت بين القرنين السادس والحادي عشر الميلاديين. وهي تُنمّي الأفكار الهندوسية الكلاسيكية من خلال قصص الآلهة والأبطال في السهول المقدسة والجبال والأنهار في الهند. ويعد كذلك كتاب"

بيدبا وبيل با" وهو كليلة ودمنة في العربية من أشهر الكتب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وضعه بيدبا الحكيم في اللغة السنسكريتية لملك من ملوك الهند يقال له دبشليم، نقله برزويه الحكيم إلى اللغة الفهلوية لنوشيران سنة 531م، ثم ترجمه ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية وهناك من يرجع هذه المجموعة القصصية للفرس لكن ابن النديم يرى أنه من الهند فيقول:" وكتاب السندباد نسختان كبيرة وصغيرة والخلاف فيه مثل الخلاف في كليلة ودمنة والغالب والأقرب إلى الحق أن تكون الهند صنفته."

ومن القصص المشهورة أيضا" بوذا سف وبلوهر" التي ترجمت من السنسكريتية إلى العربية وأصلها السنسكريتي" بدهى ستوبر دهتير. "

أما الأدب الفارسي القديم فقد كان لكتاب "الشاهنامة" للفردوسي أهمية كبيرة خلال العصر الذهبي للآداب الفارسية، لذلك سوف نتناول هذا العمل الأدبي الملحمي بنوع من التفصيل.

يعد الكتاب رسالة تتكون من كلمتين: شاه: وتعني الملك، نامة: كتاب أو رسالة، أي رسالة الملك.

وتذكر المصادر أن كتاب" الشاهنامة " قد بدأ تأليفه على يد شاعر من شعراء البلاط الساماني وهو الدقيقي لتخليد التاريخ الايراني القديم. لكنه لم يكد ينهي 990 بيتاً حتى قتل على يد غلام له عام 368 هـ و هو في عنفوان الشباب، فأكمل أبو القاسم بن علي الفردوسي نظم ما تبقى من الكتاب، وهو ملحمة شعرية تقع في ستين ألف بيت شعري، والملحمة هي" قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة والتاريخ بالأساطير، وتطول قصائد هذا اللون من الشعر حتى تصل إلى آلاف الأبيات، ولكنها على طولها تتسم بالوحدة الفنية والموضوعية."، ويذكر في سبب نظم الفردوسي لها أنه كان دهقانا وكان يعتمد في معيشته على ما تغله له بعض الضياع ولم يكن له من عقب غير ابنة واحدة أراد أن يحسن تجهيزها فدفعه ذلك إلى نظم ملحمته الطويلة لعله يجد من أصحاب الجاه والسلطان من يهديها إليه فيجزيه الجزاء الأوفى على ما تجشم من تعب دائب وجهد طويل متصل فلما فرغ منها بعد ثلاثين سنة وكان ذلك في سنة 999م-389هـ أعطاها لكاتبه" علي ديلم" فنسخها ولراويه" أبي دلف" فأنشدها.

ولما فرغ "علي ديلم "من نسخ الشاهنامة في سبعة مجلدات حملها الفردوسي ويمم وجهه شطر "غزنة" مصطحبا معه راويته " أبا دلف "

ولما قدمها للسلطان محمود الغزنوي أعجب بها إعجابا عظيما لكن بعض الوشاة اتهموا الفردوسي بالتشيع، وذكروا للسلطان قوله:

"مرا غمز كردند كان يرسخن بمهر نبى وعلى شد كهن

ومعناها:

لقد عابوني فقالوا: إن هذا المتشدق الثرثار

قد شاب على حب النبي وعلي وتقدمت به السنون والأعمار "!...

وبذلك لم يجازيه إلاّ بعشرين ألف درهم مقابل الشاهنامة، " فغضب الفردوسي غضباً شديدا وذهب إلى الحمام فاغتسل ثم خرج منه وشرب فقاعا وقسم النقود بين صاحب الحمام وبائع الفقاع .

الأمر الذي اغضب السلطان فقرر قتله. فلجأ الفردوسي الى "هرات" مختفياً فيها سته أشهر في حانوت اسماعيل الوّراق. ثم سافر من هناك إلى "طوى" فأخذ منها نسخة أخرى من الشاهنامة وقصد "طبرستان" حيث أضاف إليها مائة بيت في هجاء السلطان محمود. ويذكر النظامي العروضي أن تلك الأبيات قد فقدت فيما بعد، ولم يبق منها سوى ستة أبيات.

وتورد بعض المصادر أن الفردوسي كان مسلما والدليل على ذلك تحدثه عن التوحيد حيث يقول في الشاهنامة:" أيها المتفلسف الثرثار، لن أسلك طريقك الذي توصيني به، لأنه لا عقيدة أفضل من التوحيد، حيث أن الله واحد شئت أم أبيت، إنك تقبل الشيء الذي تراه، وأعلم أن الله هو غير الذي تفكر به أنت، حيث الله الأحد، وأن عقيدة التوحيد هي الأصالة دون غيرها "

لكن نجد في مصادر أخرى من يتهم الفردوسي بأنه مجوسي، وقد أبدى حقدا دفينا تجاه المسلمين في شاهنامته، وسخر من العرب وأصولهم، لكن الأمر الذي لا خلاف فيه أن الفردوسي تأثر باللغة العربية حيث تخللت الشاهنامة كلمات عربية بلغت الستين بالمئة، حيث ناهزت الخمسمائة كلمة هذا فضلا عن الآثار الإسلامية التي وردت فيها من معاني وشخصيات إسلامية وبطولاتهم .

والشاهنامة تجمع معظم ما وعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الإسلامي تبدأ بالتحدث عن أول البشر وبداية الخلق ثم ترتب ترتيبا تاريخيا: تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تبين تاريخه، وما كان في عهده من الحادثات ثم تذكر الملك الثاني وهكذا. ويستمر القصص فيها 3874 سنة تحكم فيها أربع دول.

هي البيشدادية والكيانية والأشكانية والساسانية.

وقد حوت هذه الملحمة مواعظ تدعو إلى الفضيلة والأخلاق السامية والتي نلمس من خلالها تأثر الفردوسي بالدين الإسلامي بغض النظر عمّا قيل في حقه، ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع الملحمة:

اسم الله خالق الحياة والعقل، الله الذي يرزق ويهدي، الله رب الكون، والنور الأزلي، وأعلى من التصور في الخيال، ولابد للإنسان أن يعبد الله لأنّه أهل للعبادة .

أما في موطن آخر فيقول عن الكذب والنفاق:

الكلام المعسول والمزين والنفاق والكذب لا شأن له أمام أنظار العقلاء، ومن يتخلّ عن عمل الخير فإنه سينحرف ويضل على السواء. الكذب يسوّد وجه الإنسان ويحول دون سموه.

وفي الكسل يقول:

تخلّ عن الكسل، واسع وابذل جهدك حتى تقطف ثمار عملك. ففي هذه الدنيا لا ثمار بلا تعب، فالكنز يكمن في السعي وبذل الجهد، وبدونه لا ينال الإنسان ذلك الكنز.

ومن أشهر المنظومات الشعرية التي عرفت عند الفرس القدامى أيضاً منظومة "درخت آسوريك" أو شجرة نسب الآشوريين، والمنظومة حوار ومناظرة بين هذه النخلة وفائدتها والعنزة؛ منظومة "يادكار زريران" أو "سيرة زريران"، وهي أقدم المنظومات الحماسية الإيرانية، وموضوع هذه المنظومة هو الحرب بين كشتاسب وأرجاسب الطوراني دفاعًا عن الدين الزرادشتي؛ ومنظومة "جاماسب نامة" وهي منظومة تشتمل على تنبؤات جاماسب الحكيم وزير كشتاسب بالحوادث التي ستحدث في ختام الألف عام الأولى بعد زرادشت؛ وأناشيد (غاتها) وهي الأناشيد الدينية التي كانت جزءًا من الكتاب الديني للزرادشتية.

المحاضرة الثالثة: الآداب الغربية القديمة

يعد هوميروس ينبوع الأدب الاغريقي، وأصبحت أشعاره بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية وتجسد التفوق البشري، وأهم ما تركه هذا الأخير من أعمال ملحمتي " الإلياذة" و"الأودسة" فالإلياذة تصور الحرب الضروس التي دارت رحاها في بلاد الإغريق في الفترة من 1280 إلى 1183 قبل الميلاد، وهي عبارة عن ملحمة شعرية صاغها هوميروس في 16 ألف بيت، وهو ما جعلها أهم ملحمة شعرية في التاريخ، خاصة أن واضعها كان ضريراً، وهو ما ينبئ عن قدرة غير عادية على توصيف قصص الحرب والمنافسة بكل دقائقها في تلك العصور البعيدة.

تقع الملحمة التاريخية ''الإلياذة'' في 24 فصلاً من خلالها ينقل هوميروس الطبائع والعادات التي سادت في العصر الذي كتب عنه أكثر ما نقل عن العصر الذي عاش فيه، لذا فهو يتحدث عن شخصية "السنتور" الخرافية، المزيج بين الإنسان والحصان، لكنه يمتد مع التاريخ في تمجيد الأبطال، وتقديمه لظروف مثيرة وكثيرة لميتات المقاتلين أو حين ينقلنا إلى مواطنهم الأصلية، ومساقط رؤوسهم، كي نرى أحزان آبائهم العجائز وقنوط أراملهم ودموعهن، أو ظروف الحرمان والفقدان التي يعيش فيها أيتامهم.

وأحداث الإلياذة تدور معظمها داخل المعسكر الإغريقي وتحديداً في مدينة طروادة وتروى الملحمة حادثة واحدة وهي أن أجاممنون أخطأ في حق خريسيس الكاهن فلجأ الأخير يجأر بالشكوى للإله الذي يخدم في معبده أي أبوللون، الذي كان على أية حال يؤيد الطرواديين، فأرسل وباء على جيش الإغريق وعرف أجاممنون أن لا نهاية لهذا الوباء إن لم يرجع محظيته خريسئيس إلى ذويها، وعلى مضض وافق أن يعيدها لكن بشرط أن تسلم له محظية أخيلليوس بطل من أبطال الإغريق واسمها تريسئيس فرفض بادئ الأمر لكنه أذعن للأوامر غاضبا واعتزل في خيمته ممتنعا عن الخروج للحرب، وباح بشكواه لأمه الربة ثيتيس التي بدورها توسلت إلى زيوس أن ينتقم لابنها، ووافق زيوس فأرسل حلما مضللا لأجاممنون فحواه أنه لو قاد الجيش ضد طروادة فسيأسر المدينة، لكن بعد الواقعة يتكبد الطرفان خسائر ضخمة.

بعدها يعرض أجاممنون الصلح على أخيلليوس لكنه يرفض، ففكر أجاممنون في التخلي عن الحملة، لكن أحد قادته عارضه بقوة وشن هجوما ليليا وعاد بغنائم، وفي الصباح حفز ذلك أجاممنون على استئناف الحرب، لكنه جرح مما أدى إلى انسحاب كثير من قواد الإغريق، وفاز الطرواديون بقيادة هيكتور، فسمح أخيلليوس لصديقة باتروكلوس بالاشتراك في الحرب مجددا وطارد الطرواديين حتى وصل إلى أسوار طروادة، لكنه جرح فقتله هيكتور،

وبعد موت باتروكلوس ذروة الحدث الملحمي ونقطة التحول لأن أخيلليوس ما إن سمع بالخبر حتى وقع فريسة للحزن ولم يستطع الخروج للحرب، لكن الجيش خرج لمواصلة الحرب ضد الطرواديين، لكن الربة أثينة حثت أخيلليوس على الالتحاق بالجيش في حربه، وما إن وصل وصاح بصيحة الحرب حتى ذعر الطرواديون، ونجحت ثيتيس في إقناع رب الصناعة والحدادة هيفا يستوس أن يصنع لابنها عدة حرب جديدة، ويصف لنا هوميروس هذه الأسلحة بالتفصيل ويتألق في وصف الدرع، ويكتسح أخيلليوس الصفوف الطروادية ويهزمهم شر هزيمة ويقتل قائدهم هيكتور مع أنه كان يعلم أن النبوءات قد تحدثت بموته بعد موت هذا القائد، ينكل أخيللوس بجثة هيكتور ويجرها وراء عربته في نواحي طروادة، ثم تقام مراسيم دفن صديقه باتروكلوس الفخمة، وبعدها يقرر تسليم جثة هيكتور لوالده الشيخ برياموس في مقابل فدية، ويدفن هذا القائد وبذلك تنتهي الإلياذة .

أما الملحمة الثانية فهي ملحمة" الأوديسيا" أو " الأوديسة" فتدور حول موضوع شائع في كافة الآداب القديمة أي غياب الزوج لمدة طويلة حيث يظن الجميع أنه قد مات بيد أنه يعود في الوقت المناسب أي في آخر لحظة وعلى غير توقع ليحول بين زوجته والزواج من رجل آخر

وهي تتألف من (12200) بيت على الوزن السداسي (هِكسامِترون Hexametron (الذي يتكون من تفعيلة من مقطع طويل يليه مقطعان قصيران، ويرجح أن ظهور الأوديسة يعود إلى سنة 700 ق.م.

تنقسم الملحمة إلى أربعة وعشرين جزء يسرد فيها الشاعر رحلات تيه الملك أوديسيوسOdesseus ، أو أوليس (عوليس) على نحو ما شاع في التراث العربي ومغامراته وعودته السعيدة إلى موطنه في جزيرة إيثاكه Ithake التي كان قد غادرها قبل عشرين عاماً ليشارك في حملة ملوك اليونان وجيوشهم وأبطالهم في مواجهة طروادة.Troia

تمتد أحداث الملحمة على عشر سنوات من التيه، تبدأ مع سقوط طروادة بفضل حيلة الحصان الخشبي التي ابتدعها أوديسيوس وتنتهي باستعادته عرشه في وطنه. لكن مؤلف الأوديسة لا يسرد الأحداث وفق تتابعها الزمني، بل يضغط فيها زمن السرد إلى حده الأدنى. فالمدة الزمنية بين توديع أوديسيوس الحورية كاليبسو Kalypso التي احتجزته سبع سنوات في جزيرتها أوغيغيا Ogygia بعد أن تحطمت سفينته حتى التقائه زوجته الوفية بِنيلوبه Penelopeبعد أن قضى مع ابنه تِلِماخوس Telemachosعلى مجموعة الخطّاب الطامعين بها للوصول إلى العرش والثروة، لا تتجاوز أربعين يوماً. أما المدة التي تسبق هذه الأحداث وما تخللها من مغامرات عجيبة، فيعرضها المؤلف عرضاً غير مباشر.

إن البنية الفنية المتينة لهذه الملحمة، في رأي أرسطو في كتابه «فن الشعرPoẽitikẽs »، وتقسيمها إلى قسمين متساويين طولاً: رحلات التيه في القسم الأول والعودة إلى الوطن في الثاني، يضم كل منها اثني عشر جزءً، يدلان على أنه لا يمكن عدّ هذا العمل الفني نتاج تراث ملحمي شفوي عريق فحسب، بل لابد من أن كاتباً ما، سواء كان هوميروس أو أحد أفراد مدرسته، قد صاغ هذه الملحمة على النحو الذي تم تداولها به شفاهاً ومن مصادر موروثة متوافرة، يمكن تحديد ثلاثة منها، مختلفة في قدمها: أولها حكاية البحار التائه القديمة جداً، وثانيها حكاية عودة الملك إلى وطنه بعدما ظُنَّ أنه قد مات، وثالثها حكاية الابن الذي خرج يبحث عن أبيه التائه. يضاف إلى ذلك الحكاية الخرافية حول البطل الذي بحث في العالم السفلي عن رفاق السلاح القتلى. ولا شك في أن هذه العبقرية الشعرية التي نسجت من هذه المصادر المبعثرة وحدة فنية متكاملة قد ظهرت في ختام مرحلة مخاض طويلة، وليس في بدايتها. ولكن يصعب التفريق بدقة بين الأجزاء التي تعود إلى الموروث الصافي وتلك التي خضعت لتنقيح الشاعر والأخرى التي صدرت عن مخيلته.

وبالموازنة بين الأوديسة والإلياذة التي تعبر حصراً عن أفكار طبقة النبلاء وأخلاقياتهم فإن الإطار الاجتماعي في الأوديسة أكثر اتساعاً وشمولاً منه في الإلياذة، فقد فسحت هذه الملحمة في المجال للتعبير عن رغبات فئات اجتماعية شعبية ومصالحها ومعتقداتها في حين كانت الإلياذة مغلقة دونها بصرامة. إن وصف شخصية الملك بصفاته الجديدة هنا يدل على ميل سياسي يتطلع إلى مثال جديد للحاكم يلائم متطلبات المرحلة وطبيعتها.

تحمل لغة الشاعر في هذا العمل الأدبي سمات الأسلوب الملحمي، فتلاحظ جزالة الألفاظ ومتانة التراكيب في العمل كله، مع كثير من العبارات النمطية والأمثال التي تتكرر على ألسن الشخصيات الرئيسية التي تظهر متباينة في أوصافها بجلاء، إلى جانب دقة متناهية رفيعة المستوى في وصف الأشياء. أما تضمين لهجات يونانية متعددة في العمل فإنه يعود إلى تأثير الأصل الموروث، بل هو جزء عضوي من اللغة الفنية الخاصة بالأوديسة، مما جعلها في عصور الازدهار اليونانية مادة تدريسية ومصدراً لكثير من التأملات الأخلاقية والفلسفية. كما كان لها تأثير كبير في الآداب الأوربية عامة، فقد عدها أرسطو وعلماء جمال المدرسة الاتباعية من بعده نموذجاً لمضمون الملحمة وشكلها .

ويرجع تاريخ الملحمتين «الإلياذة» و«الأوديسة» إلى العصر الهلنستي، ويعود الفضل إلى علماء أكاديمية الإسكندرية وأدبائها في تقسيم كل من الملحمتين إلى 24 نشيداً بعدد حروف الأبجدية الإغريقية. صدرت أقدم طبعة لملاحم هوميروس في مدينة فلورنسا الإيطالية، أما أهم الطبعات النقدية الحديثة المحققة فهي تلك التي

أصدرتها جامعة أكسفورد عام 1920 في خمسة أجزاء. كما صدرت طبعات محققة بالفرنسية والألمانية والإيطالية، وأعقبتها ترجمات شعراً ونثراً إلى اللغات الأوربية المختلفة، ومنها ترجمة إلى اللغة اليونانية الحديثة.

أما أشهر ترجمات «الإلياذة» إلى اللغة العربية فهي بلا شك ترجمة سليمان البستاني الشعرية التي صدرت في مجلدين عام 1904، وهي تعدّ بحق عملاً أدبياً مهماً حاول فيها أن يحاكي ملحمة هوميروس في الأوزان والأسلوب واللغة والأجواء، كما زودها بشروح تاريخية وأدبية مسهبة .

أما في الشعر التعليمي فيمثل هيسيودوس ما يمثله هوميروس بالنسبة للشعر الملحمي، فكلاهما ظهر في فجر الأدب الإغريقي، وأهم قصائد هيسيودوس " الأعمال والأيام Erga Kai Hemerai و"أنساب الآلهة "Theogonia، ويتمثل هذا النوع من القصائد في استخدام الوزن السداسي الملحمي لأداء غرض تعليمي، وهذه القصائد تبدأ بمناجاة ربات الفنون، ثم تمتزج على نحو تلقائي بدعاء إضافي لزيوس راعي العدالة القدير.

أما قصيدة "درع هرقل Herakleous Aspisفتنسب خطأ لهيسيودوس وتؤرخ هذه القصيدة لعام 600ق.م وتقع في 480بيتا .

وكذلك تنسب له قصيدة " قائمة النساء "Katalogs gynakon والمعروفة أيضاً بعنوان"المثيلات Heoiai"

وفي الشعر التعليمي أيضا نجد قصائد لوكريتيوس حوالي (99ق.م 55ق.م)، وأوفيديوس (43ق.م 18م (

وبرز أيسخولوس في التراجيديا، والتراجيديا هي مسرحيات تنتهي بنهاية مأساوية للبطل، فبدأ أيسخولوس بعرض مسرحياته في سن مبكر عام 499ق.م حتى 458ق.م أي ما يزيد على أربعين عاما ظل أيسخولوس يؤلف ويعرض مسرحياته التراجيدية في أثينا، وكانت ثلاثية " الأوريستيا" آخر ما قدم على المسرح الأثيني عام 458ق.م، وله مسرحيات كثيرة نذكر منها:"الفرس عام 472ق.م" و"ثلاثية طيبة عام 467ق.م"و"الرباعية الأوديبية "

وبرز في هذا النوع أيضا سوفوكليس والذي تعزى له ما بين 104إلى 130 مسرحية لم تصلنا منها كاملة سوى سبع مسرحيات فقط ، وهي:" نيوبي"، "ثاميراس"،"تريبستوليموس"،بنات تراخيس"،" انتيجوني"، "أليكترا"، " أديب ملكا". وتدور أحداث هذه المسرحية في مدينة ثيبة. كان الملك "لايوس" ملكا لطيبة وقد تزوج ولم ينجب فذهب لمعبد دلفى (معبد يوناني يستطلعون منه النبوءات) ليعرف حلا لمشكلته فجاءت إليه العرافة بنبوءة (– ونبوءة العرافة مستقاة من الإله أبوللون– أنه سينجب ولدا سوف يقتل أباه ويتزوج من أمه، فانزعج لايوس لهذه

النبوءة ورحل لمنزله وهجر امرأته حتى لا ينجب ثم مرة بفعل كونه مخمورا حملت زوجته فانزعج لخوفه من النبوءة وانتظر حتى تمت ولادتها وأعطى الطفل لحارسه لكى يقتله، ثم ذهب به الحارس إلى الجبل وهو مقيد بالأغلال من قدميه (وهذا يفسر سر تسميته بأوديب التي معناها باليونانية القديمة المصفد بالأغلال أو الأرجل المتورمة) وبدلا من أن يلقيه في الجبل ليموت تركه لراع قابله في هذا الجبل.

ولقد أشفق الراعي على الطفل وأخذه لملك وملكة كورنثة فهما لا ينجبان وأعطاهم إياه، وأعتقد لايوس بأنه قد تخلص من ابنه ومن النبوءة.

وتربى الطفل مع الملك والملكة وهو معتقد بأنهما أبواه حتى شب وأصبح يافعا، وظل لجرح قدميه علامة من الأصفاد التي سلسل فيها وليدا. وذات يوم كان مع أصحابه فشككوه أنه ليس ابن ملك كورنتس والملكة فانزعج أوديب ورحل هو الآخر لدلفى لاستطلاع الأمر. خرج ليستشير الآلهة، فجاءت إليه النبوءة (ستقتل أباك وتتزوج من أمك)، فبهت أوديب ورحل عن بلده وترك أبواه الملك وأمه الملكة الذين لا يعرف غيرهما أبا وأما حتى ينجو من أن يقتل أباه ويتزوج أمه، ورحل إلى طيبة. وفي الطريق إليها ذي الثلاث شعب نازعته عربة يجرها رجل وبداخلها رجل مسن، وشبت مشادة بينه وبين الرجل وحراسه في الطريق فما كان إلا أن الرجل في العربة ضربه بالسوط فتعارك معه أوديب واستطاع أن يقتلهم جميعا، وواصل طريقه إلى طيبة.

وقبل دخوله طيبة كانت تسكن الطريق غولة (أبو الهول أنثى أوسفنكس) متوحشة تسأل سؤال غامضا وتقتل من يعجز عن الجواب وتشيع في الأرض الخراب، وعندما أتى سألته نفس السؤال من الذي يمشى في الصباح على أربع وفي الظهر على اثنان وفى المساء على ثلاث؟ وكان جواب أوديب الشهير الإنسان في البداية طفلا يحبو ثم شابا يافعا على قدميه ثم يهرم فيمشى على عصا بجانب قدميه وانهارت الغولة لمعرفته حل اللغز الرهيب، وألقت بنفسها وماتت، وفرح الشعب لرحيلها وتخلصهم منها، وجاء الخبر بموت ملكهم في طريق ذي ثلاث شعب فأخذوا أوديب ونصبوه ملكا عليهم وزوجوه من أرملة الملك السابق.

وبعدما تولى أوديب حكم طيبة أنجب 4 أولاد ولدين وبنتين، وبعد مضي سنوات من اعتلائه العرش حدث طاعون أصاب الحرث والنسل وامتلأت الأرض بالجثث وسادت الفوضى والدمار فبعث أوديب بكريون أخ زوجته لاستطلاع نبوءة دلفى بخصوص هذا الطاعون. عاد كريون ليبلغ أوديب أن سبب الطاعون وجود قاتل الملك لايوس بالمدينة، فأخذ أوديب يوعد ويتهدد ويصب لعناته على هذا القاتل حتى لو كان يسكن بيته ووعد أهل المدينة باستقصاء خبر قاتل الملك ليضع حدا لهذا الطاعون القاتل، واقترح عليه علية القوم أن يأتوا بعراف أعمى

اسمه ترسياس ليكشف لهم من هو قاتل الملك، وبالفعل أتى وأخذ يناقشه أوديب (في مقطوعة نادرة بمسرحية أوديب ملكا كل حرف رمز وإسقاط ومعنى وهدف) ويسأله ليعرف ولكن العراف يتهرب بلباقة وذكاء ولكنه نصحه ألا يصب لعناته على القاتل فاتهمه أوديب بالجهل وما كان إلا أن قال له أنه أعمى فرد العراف أنه أعمى البصر وليس أعمى البصيرة وتنبأ له أنه عندما يدرك من أباه ومن أمه سيبصر الحقيقة الغائبة وأخبره أنه قاتل الملك ولأن أوديب دائما يختال بذكائه وثقته بنفسه فما كان عليه إلا أنه تصور أنه يوجد مؤامرة بين العراف وبين كريون أخ زوجته فأمر بحبسهما.

وجاء لأوديب رسول من كورنثة يحمل له خبر مفرحا وآخرا محزنا المحزن موت أبيه والمفرح أنه سيتولى العرش من بعده وبالطبع أوديب يتذكر الأسطورة فخشى أن ينفذ الجزء الآخر منها بعدما اطمئن واهما أنه لم يقتل أباه الوهمي فطمأنته زوجته أن النبوءات تكذب وتخدع فلقد جاءت لها ولزوجها ملك طيبة نفس النبوءة وتركوا ابنهم يموت في الجبال من نبوءة كاذبة فاستفسر الرسول لماذا يخشى أوديب من العودة لكورنثة فلما أخبره طمأنه بأن الملك والملكة ليسا أباه وأمه لأنه وبيده أخذه من راع من مدينة طيبة وأعطاه لهما وليدا لأنهما حرما من الإنجاب، فاستقصى أوديب خبر الراعي رغم تحذيرات زوجته (أمه) ونصائحها ولكن حبه للمعرفة وللحقيقة جعله يأتي بالرسول، ولقد حاول الأخير ألا يخبره إلا أنه وبعد ضغط أخبره أنه بالفعل أعطى طفلا وليدا ذي قدم متورمة لرجل من كورنثة ولم ينفذ كلام لايوس بأن يقتله واستفسر عن الطريق الذي مات فيه لايوس فكان الطريق ذي الثلاث شعب وهنا ظهرت الحقيقة لقد قتل أوديب جاهلا أباه وتزوج من أمه بل وأنجب منها وانهار تماما وذهب لاستطلاع أمر زوجته أو أمه فوجدها انتحرت حيث وجد الحبل ما زال يدور بالجثة الهامدة، فذهب مسرعا ليفك الحبل من أعلى لتسقط الجثة، فأخذ دبوس من فستانها على الأرض، فصار يخلع المشابك الذهبية التي تتخذها الملكة زينه لشعرها ليدفعهم إلى عينه وهو يصيح أنه لن يرى شقاءه وجرائمه ثم يحدث عينه قائلا: "ستظلان في الظلمة فلا تريان من كان يجب ألا ترياه، ولا تعرفان من لا أريد أن أعرف بعد اليوم، حتى لا ترى الشمس المقدسة إنسانا دنسا فعل أكثر الجرائم بشاعة"، وفي موقف مؤثر سالت الدماء على لحيته البيضاء وبللت وجهه وهو يلعن سوء حظه وجهله القاتل ونفى نفسه من الأرض حتى ينتهي الوباء، وعاش طريدا من الأرض والسماء.

الحقيقة التي هي نقطة تحول في حياة الشاب أوديبوس الذي قال: "واحسرتاه. واحسرتاه. لقد أستبان كل شيء. أيها الضوء لعلي أراك الآن للمرة الأخيرة. لقد أصبح الناس جميعا يعلمون. لقد كان محظورا أن أولد لمن ولدت له. وأن أحيا مع من أحيا معه. وقد قتلت من لم يكن لي أن أقتله."

بعد هذا المشهد المفجع يطلب أوديب من صديقة كريون أن يعتني ببنتيه بعد أن ينفى، كما طلب منه أن توضع الملكة في قبر مناسب وفي الأخير يطلب من صديقة أن يقذفه بعيدا حيث لا يراه أحد بعد اليوم .

يرى الكثيرون أن أوديب ملكاً هي أكمل مسرحية كتبت على الاطلاق في المسرح منذ نشأته حتى الآن.

أما في المسرحيات الكوميدية والتي تثير الضحك من خلال تقديم نكات ثانوية تنتج عن غباء وحمق الإنسان، وغالباً ما تحتوي على النهاية السعيدة.

ويرجع أصل الكوميديا الذي يجمع بين كلمة كوموسKomos بمعنى احتفال أو موكب ريفي صاخب ومعربد وكلمة Ode بمعنى أغنية، إلى الأغاني والرقصات التي كانت تؤدى في أنحاء الريف الإغريقي إبان موسم الحصاد ولا سيما قطف الأعناب المرتبط بعبادة ديونيسوس إله الخمر.

فقد رأى البعض أن الكوميديا القديمة كانت مرآة عصرها ويستدلون على ذلك بما يحكى عن طاغية سيراكيوز (سراقوصة) ديوينسيوس الأول(430-367 ق.م تقريبا)أراد ذات مرة أن يعرف كل شيء عن النظام الأثيني شعبا وحكومة فطلب من أفلاطون أن يمده بالمعلومات الضرورية فما كان من هذا الأخير إلاّ أن أرسل إليه مسرحيات أريستوفانيس ومن أهم ما ألفه مسرحية "السلام عام 421ق.م"، ومسرحية" الطيور عام 414ق.م"، "برلمان النساء"، "البابليون عام 426ق.م"، "الفرسان عام424ق.م" ،"السحب"، "النساء في أعياد الثيسموفوريا"،"الزنابير"، "بلوتوس"، "المشتركون في الوليمة عام427ق.م"، "الأخارنيون عام 425ق.م"،"الحملة الصقلية عام 413ق.م"، "ليسيسراتي 411ق.م"، "الضفادع 405ق.م."

وتتكون المسرحية الأريستوفاتية من ستة أجزاء هي:

1- البرولوج Prologos وهو الجزء الذي يسبق دخول الجوقة ويعرض فكرة وموضوع المسرحية.

2- البارودوس Parados أي أغنية الجوقة أثناء دخولها الأوركسترا وهو المكان الدائري المخصص لها بالمسرح وتؤدي فيه الأغاني الأخرى ولا تتركه إلاّ نهاية المسرحية.

3- أجون agon أي مناقشة جدلية أو مباراة كلامية أو مناظرة بين فردين حول نقطة شائكة وهي الموضوع الرئيسي أو محور المسرحية ككل، وتحتدم هذه المناقشة أحيانا وتصل إلى حد المشادات أو الاشتباك الكلامي المضحك بالطبع.

4- الباراباسيس parabasisأو الخطاب المباشر وهو الجزء الذي فيه تتقدم الجوقة إلى الأمام أو تأخذ جانباً لتخاطب الجمهور مباشرة باسم الشاعر ولقد تطور هذا الجزء عبر العصور.

5- عدد ما يمكن أن نسميه الفصول epeisodia وهي المشاهد الحوارية التي تفصل كل منها عن الآخر أغاني الجوقة التي تؤدى في الأوركسترا.

6- مشهد الخروج exodos أي الجزء الختامي .

ونجد في كل مسرحيات الشاعر أريستوفانيس مزجاً فريداً بين الواقعة المحسوسة واللاواقعية المسرفة في الوهم والخيال، وتزاوجا بين الحقيقة وضدها وذلك في صورة واحدة متجانسة الأشكال ومنسجمة الألوان والظلال

وهذا يعني أن الكوميديا الأثينية القديمة تعطي لنا صورتين لحياة المجتمع الآثيني إحداهما خيالية مصطنعة تهدف إلى خلق الجو الكوميدي المضحك والمسلي للجمهور والأخرى الصورة البسيطة التلقائية التي تكوّن الحقيقة الواقعية للظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في تلك الفترة.

ومن أقطاب الكوميديا أيضا نجد الشاعر كاراتينوس(520ق.م-423ق.م)، والشاعر يوبوليس (حوالي 446ق.م-411ق.م.(

ثم قلّد الفاتحون الرومان الأساليب الأدبية الإغريقية. وقد وضع كل من تيطس بلوتس وتيرنس أكبر كتّاب الملهاة اللاتينية، مسرحياتهما على أسس المسرحيات الإغريقية. أما أشهر الشعراء الرومان فهو فيرجيل فقد كتب ملحمته الوطنية الإنيادة على الأسس نفسها التي كُتبت بها الإلياذة والأوديسة

وتروي الإنياذة قصصا أسطورية تصور أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن طويل، نظمت بطريقة الشعر البطولي" ، يعود سبب تأليفها "لحاجة قومية في عهد أوغسطس الذي لفت نظر الشعراء ذوي الشأن إلى نظم ملحمة ترتبط ببعض أعماله وتسجل أمجاد الرومان مثلما سجل هوميروس أمجاد اليونان، وكان فرجيل هو الذي

نهض لتحقيق هذه الغاية" ، وبدأ تأليفها حوالي "ثلاثين قبل الميلاد أي حينما بلغ الأربعين من عمره وامتدت كتابتها تسعة أعوام أو إحدى عشر عاما. "

"إلا أنه فرجيل لم يرد نشر هذا العمل كونه لم ينته من تنقيحه فأمر "أن يلقى ما كتبه للنيران لكنه عدل في النهاية عن هذه الفكرة وآثر أن يتركها لصديقيه فاريوس Varuis وتوكا Tucca بشرط ألا ينشرا ما كتبه، إلا أن الإمبراطور أوغسطس أمرهما بنشرها على أن يقوما بمراجعتها وحذف مالا ضرورة منه دون أن يضيفا إليها شيء" . وهكذا بعد مرور عامين على وفاة فرجيل نشرت الانياذة أي حوالي 17ق.م .

وبلغ عدد أبيات الإنياذة 9896 بيت"300 " تدور أحداثها حول(إنياس) الذي خرج بعد سقوط طروادة مع بعض أتباعه من طروادة لتأسيس الإمبراطورية الرومانية في روما وهي وصف لخروج هذا البطل من طروادة إلى إيطاليا، وما لاقاه في طريقه من أهوال وما حققه من انتصارات حتى تم له تأسيس الإمبراطورية الرومانية" ، إذ تصوره الانياذة جدا للدولة الرومانية فهي ملحمة فيها الحب والحرب .

وتنقسم الانياذة إلى "اثني عشرة قسما أو كتابا حيث تناول في الكتاب الأول قصة إنياس عندما اقترب من الأرض الموعودة في الغرب، فتضرب الرياح سفنه وتلقي بها على الساحل الإفريقي، ويتضح أن يونو زوجة جوبيتر هي التي أرسلت هذه العاصفة وسببت كل هذه المتاعب لأنها تعادي طروادة وسلالتها، وتستقبل ديدو الطرواديين في مملكتها المؤسسة حديثا ".

أما في الكتاب الثاني وعلى مأدبة حافلة تعدها ديدو لآينياس يحكي لها الأخير قصة سقوط طروادة وقصة الحصان الخشبي وكيفية هروبه من ركام الحريق بأمر الآلهة ومعه والده أنخيسيس وأبنه أسكانيوس وآلهة البيناتيس الطروادية .

أما الكتاب الثالث فضمنه فرجيليوس قصة نزول آينياس على ساحل أكتيوم الموطن الجديد للعراف الإغريقي هيلينوس وينتهي بموت والد آينياس أي انخيسيس في صقلية.

وفي الكتاب الرابع ترغب يونو في إحباط خطة إقامة طروادة الجديدة في إيطاليا، حيث وحدت جهودها مع آلهة الحب والجمال والتناسل فينوس بهدف إخضاع آينياس لحب الملكة الفينيقية ديدو، علما أن هذه الملكة عاهدت نفسها على ألا ترتبط بأي رجل بعد وفاة زوجها سيخايوس.

ولكن تقع في حب آينياس وتنقض عهدها وتحاول إبقاء محبوبها إلى جوارها...حتى وصل الأمر على حد أن جوبيتر اضطر لأن يذكر آينياس برسالته السماوية على لسان رسوله ميركوريوس، فاستيقظ من غفوته وأحلامه وقرر الرحيل وباءت كل جهود ديدو بالفشل فلعنت حظها وانتحرت ".

أما الملاحظ على الكتاب الخامس فنجده "يمثل مرحلة انتقال تخفف من حدة مأساة ديدو وتمهد لغموض وروعة الكتاب السادس" ، حيث بدأ الكتاب "تفاجئ آينياس عاصفة قوية وهو في طريقه إلى الساحل الإيطالي فيرسي مراسيه في صقلية. وهناك يقيم احتفالات دينية وألعابا جنائزية بمناسبة ذكرى وفاة والده" . وينتهي الكتاب "بإنقاذ بعض سفن آينياس بمعجزة من الحريق الذي اشتعل في الأسطول بإيعاز من يونو" . وبالفعل في الكتاب السادس "يرسي أسطول آينياس مراسيه في كوماي بإيطاليا وتقوده الكاهنة سبيلا Sibylla بعد أن يتزود بالغصن الذهبي السحري حيث يدخل العالم السفلي عند بحيرة افيرنوس، وهناك يلتقي بالكثيرين ومنهم ديدو حبيبته الفينيقية المنتحرة، ثم يلتقي بوالده في الإليسيوم مقام السعداء والمباركين. ويطلعه أبوه على الأرواح التي ستولد يوما ما في روما ثم تنمو وتكبر وتصبح شخصيات ورجالات التاريخ الروماني منذ تأسيس المدينة وحتى عصر أوغسطس" . والملاحظ على هذا الكتاب "أن فرجيل يبدو أكثر غنى وثراء وأكثر استقلالا وبعدا عن النقل والتقليد، فقد جمع فيه كل ثمار دراسته وثقافته واطلاعه عن الأساطير والنبوءات والطقوس والتاريخ والفلسفة ووضعها جميعا في تلك الصورة الخيالية الرائعة التي صور بها رحلة آينياس إلى العالم الآخر." . و بعد زيارة العالم الاخر أو السفلي نصل للكتاب السابع "حيث يرسل آينياس وفدا إلى الملك لاتينوس (طاعة لنبوءة قديمة) الذي يستقبل الوفد بترحاب غامر، بل يعرض على آينياس يد ابنته لافينيا، بيد أن يونو الحقودة تثير البغضاء بين الطرواديين واللاتين فتشتعل نار الحرب بينهما، حيث لا يشترك في المعركة لاتينوس ويقودها تورنوس الذي طلب لافينيا لنفسه وتعضده الملكة أماتا Amata)الحبيبة.أما في الكتاب الثامن فيسعى آينياس إلى توسيع دائرة حلفائه. حيث بادر إفاندر حاكم المكان الذي تقوم عليه روما فيما بعد بتزويد الطرواديين بقوات تحت قيادة ابنه الشاب باللاس...وبطلب من فينوس صنع فولكانوس إله الصناعة والحدادة أسلحة آينياس ومن بينها الدرع الذي زينته مشاهد تنبؤية تبشر بمستقبل التاريخ الروماني المجيد.وفي الكتاب التاسع يشدد تورنوس الضغط العسكري على الطرواديين منتهزا فرصة غياب آينياس عن الساحة. ويحاول كل من نيسوس وصديقه يوريالوس أن يشقا طريقا بين صفوف العدو ليصلا على آينياس ويحيطانه علما بالموقف. ولكنهما وبسبب تهور يوريالوس يدفعان حياتهما ثمنا لهذه المغامرة. وفي اليوم التالي يخوض الطرواديين معركة خاسرة للمرة الثانية. وقد بدأ الكتاب العاشر باجتماع إلهي علوي حيث يؤنب جوبيتر كلا من يونو وفينوس لتدخلهما في الصراع بين البشر. وفي نفس اليوم مضت الحرب الأرضية دون تدخل

إلهي، وكان آينياس قد عاد إلى ساحة الوغى. وحدث أن كان تورنوس قد أحرز نصرا سهلا على الشاب الصغير بالاس فقتله واستولى على أسلحته ومثل بجثته "

فيثور آينياس ويثأر لمقتله بالقضاء على عدد غير قليل من أبطال الأعداء، ولكن يونو تتمكن من انقاذ تورنوس بإبعاده عن الميدان فينازل آينياس ميزنتيوس ويقتله. "

وقد "دفع لاوسوس حياته ثمنا عندما حمى ظهر أبيه آينياس الذي انسحب من المعركة على إثر جرح أصابه" ، وفي الكتاب الحادي عشر "تعقد هدنة ويوقف القتال لدفن الميت، حيث عرض آينياس خطة لإنهاء الحرب على أن تجرى مبارزة فردية بينه وبين تورنوس لحسم الموقف، ويبدي الملك لاتينوس استعداده لقبول هذا العرض، ولكن تورنوس يصر على مواصلة الحرب، لكن بعد مقتل حليف تورنوس القوي كاميللا يميل ميزان القتال لصالح آينياس الذي يستعد لدخول المدينة. " ويبدأ الكتاب الثاني عشر والأخير "بالاستعداد للمبارزة الفردية حيث خضع تورنوس لذلك بعد أن انفض الحلفاء من حوله، ودخل آينياس المدينة عنوة، وبالتالي لم تعد يونو قادرة على أن توقف سير القدر. وفي النهاية يهزم تورنوس في المبارزة ويطلب الرحمة، ويميل آينياس للعفو عنه لولا أن تقع عيناه على الأسلاب الحربية ولا سيما أسلحة باللاس التي يتسلح بها تورنوس. فيعرف أنه ليس من الصواب أن يعفو عنه. وبالضربة القاضية التي يتلقاها تورنوس تنتهي الانياذة . "

المحاضرة الرابعة: الأدب الإفريقي .

إن الحديث عن الأدب الإفريقي يضعنا أمام اشكالات أثارت جدلاً واسعاً بين الدارسين لهذا الأدب، ويتلخص هذا الاشكال أولاً في تحديد تعريف دقيق للأدب الأفريقي فقد تساءل أديب جنوب أفريقيا مازيسى كونيني ما الأدب الأفريقي؟ فرأى أنه هو أدب منطقة تم تحديدها عاطفيا على أساس قاري، ثم راح يبحث عن أدق مفهوم لهذا التعبير، فانتهى إلى القول بأن الأدب الأفريقي هو: الأدب الذي يصور واقعا أفريقيا بجميع أبعاده بما في ذلك النزاع مع القوة المسيطرة على القارة والنزاعات داخلها، سواء أكان الأديب من أصل أفريقي أم عن غيره .

أما الشاعر كرستوفر أوكيجبو فقد خالفه في تعريفه للأدب الأفريقي إذ يرى أنه بكل بساطة هو الأدب الموجود في أفريقيا.

ويبدو هذا التحديد غامضا وغير دقيق إذ من الممكن أن يدخل في هذا المعنى الأدب المنتج في أفريقيا والمنقول إليها.

الأدب الأفريقي هو أدب المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. هذا ما أجمع عليه جمهور المستفرقين في تعريف الأدب الأفريقي، وقد نشأ هذا المصطلح إثر إجماعهم أيضا على أن الصحراء الكبرى تقسم أفريقيا إلى قسمين: قسم شمالي يضم الدول العربية الإسلامية، وقسم جنوبي يضم دول أفريقيا جنوب الصحراء "أفريقيا السوداء. "

ولعل أنسب التعريفات ما نجده عند الروائي النيجري تشينو أتشيبى عندما يذهب إلى أن الأدب الأفريقي مجموعة من الوحدات المرتبطة أي هو المجموع الكلي للآداب القومية والعرقية في أفريقيا .

ومما قيل أيضا في تحديد مفهوم الأدب لدى الأفارقة تعريف البروفسور باتيه جانجه بأنه: الأدب على العموم هو الكلام الهادف ذو الميزات المعينة والأدوار المحددة.

وبهذا لم يشذ مفهوم الأدب لدى الأفريقيين عن المفهوم العام للأدب، حيث أن هذا التعريف بإشارته إلى "الميزات المعينة" أثبت الجانب الشعوري أي (القيم الشعورية.(

وبإشارته إلى "ادوار محددة" أثبت الجانب التعبيري أي (القيم التعبيرية) وهذان الجانبان هما قواما العمل الأدبي أينما كان .

أما الأشكال الآخر فيكمن في اللغة لأننا في ظل التعرض للأدب الأفريقي تواجهنا عدة قنوات لغوية، فالقارة الأفريقية تعج بمئات اللغات بلغ بها بعض اللغويين إلى ما بين 1300 إلى 1500لغة وكل واحدة من هذه اللغات مشحونة بالفنون الأدبية التقليدية من شعر وأسطورة وأمثال وغيرها. أضف إلى ذلك لغات الاستعمار الوافدة مع المد الغربي خلال القرن التاسع عشر على أفريقيا وتبناها ملايين البشر كلغة ثقافة وتعبير.

وقد حمل هذا التشتت اللغوي بعض الكتاب إلى رفض ما يسمى بالأدب الأفريقي وذهبوا إلى استعمال الآداب الأفريقية أو آداب اللغات الأفريقية كما فعل البروفسور ألبرت زيرار أوالكاتب النيجيري أوبيكان أو وموبيلا في مؤلفه" مقدمة في الآداب الأفريقية."

فالأدب الأفريقي لم يطلق عشوائيا دون مراعاة محاور مشتركة ومجالات جامعة لمنتجي فنونه وصحيح أن اللغة لا تشكل بناية هذا الأدب لكن مضمون هذا الأدب الذي يترجم مشاعر مشتركة وأنماطا متناسقة تواترت عليها حياة هذه الشعوب في كل فصول التاريخ هو معيار هذا الأدب وقبل أن يبرز الاهتمام بالأدب الأفريقيين دأب المثقفون الأفارقة القاطنون في القارة أو المقيمون في مهاجر الغرب الأطلسي على استعمال عبارة الجامعة الأفريقية أو الرابطة الأفريقية للتعبير عن مفاهيم مشتركة وشعور تاريخي موحد يتعدى الأدب والتاريخ ليضرب في كيان التراث الأفريقي الذي يجمعهم والذي شاركوا جميعا في تحمل تبعاته إبان الاستعمار .

فاللغات في افريقيا متشعبة ومتنوعة ومنها اللغات الوافدة وهي على الترتيب: الإنجليزية، الفرنسية، والبرتغالية، وبجانها أكثر من خمسين لغة أفريقية تنشر فيها ويؤلف بها معظم فنون المعرفة.

ومن أهم الأعمال التي عرفت في هذا الأدب رواية "الحمار الذهبي " وهي المنطلق الحقيقي لظهور الرواية الأمازيغية في حين أن أعمال تيرينتيوس آفر تشكل البداية الفعلية للمسرح الأمازيغي في شمال أفريقيا .

ونجد مُحَّد حنداين الذي اتخذ من لكيوس أبوليوس أو أبوليوس الماضوري أو أفولاي Apulée مثالا للشخصية الامازيغية القوية في الأدب العالمي القديم، الذي تعلم كثيرا من اللغات وألف كتبا عديدة أشهرها روايته "الحمار الذهبي" التي أثر بواسطتها على الرواية العالمية القديمة، وأبهر الرومان والإغريق الى درجة اتهامهم له بالسحر .

ويتبين لنا عند دراسة شخصية أبوليوس، أن هويته جزائرية المولد، وأفريقية المنبت، وأمازيغية الأصل، ولكنها رومانية الجنسية، وإغريقية الثقافة والفكر، وشرقية المعتقد.

وقد أطلقت على روايته الغرائبية (الحمار الذهبي) تسميات عدة من بينها: المسوخ Les métamorphoses ، وقصة المسخ كما عند حميد الحمداني، أو "الحمار الذهبي" (أو التحولات) كما عند عمار الجلاصي، أو الحمار الذهبي فحسب كما لدى أبو العيد دودو ، أو" تحولات الجحش الذهبي" كما عند فهمي علي خشيم.

ظهرت قصة أبوليوس في مسخ الإنسان إلى حيوان ثم عودته إلى حالته الأولى في أواخر القرن الأول بعد الميلاد أي حوالي سنة 170 م في قرطاج، و راوي هذه القصة هو لوسيان حيث حوّل البطل لوكسيوس إلى حمار الذي سيعود إلى صورته الآدمية الأولى بعد مغامرات عديدة تتخللها قصص جزئية متداخلة، تضمينا وتشويقا وتوليدا كقصة "بسيشية وكوبيدون" الرائعة في أبعادها الفاطاستيكية والأخلاقية.

إن رواية الحمار الذهبي ذات طابع ملحمي وفانطاستيكي غريب، حيث تعتمد على فكرة المسخ وتحويل الكائن البشري الى حيوانات أو أشياء على غرار الإبداعات اليونانية . إذ يتحول لوكسيوس في هذه الرواية إلى حمار بسبب خطإ حبيبته فوتيس التي كان يحبها لوكيوس كثيرا حينما ناولته مادة دهنية في ملك سيدتها بامفيلا زوجة ميلون التي تمارس السحر في غرفتها السرية، وبهذه المادة يتحوّل الكائن البشري إلى أنواع من الطيور والكائنات الخارقة التي تجمع بين الغرابة والتعجيب. وعندما سمع لوكيوس الشاب أسرار سحر هذه المرأة دفعه تطفله وفضوله إلى أن يأمر فوتيس بجلب دهن الساحرة ليجربه قصد التحول إلى طائر لينأى عن الناس ويهاجر حيال عالم المثل بعيدا عن عالم الفساد والانحطاط البشري. بيد أن فوتيس جلبت له مادة دهنية سامة تحوّل الإنسان إلى حمار. وبعد مغامرات صعبة ذاق فيها لوكيوس أنواعا من العذاب والهلاك وتعرف عبرها مكائد البشر وحيلهم يعود إلى حالته الآدمية الإنسانية بعد أن تدخلت الآلهة إيزيس لتجعله راهبا متعبدا وخادما وفيا لها. وبتعبير آخر، إن لوكسيوس بطل القصة، اتجه نحو مدينة "تسالي" لأمور تخص أسرته، فنزل على فتى بخيل ضيفا له، فكانت لذلك المضيف الشحيح امرأة ساحرة تتحول إلى أشكال مختلفة إذا دهنت نفسها بأنواع من الزيوت الخاصة بالمسخ و التحويل، فطلب "لوكسيوس" من عشيقته فوتيس أن تدهنه ليتحول الى مخلوق آخر، بيد أنه تحول إلى حمار، بعدما أن أخطأت فوتيس خادمة بامفيلا الساحرة في اختيار المحلول المناسب للمسخ، و هكذا يتعرض لوكسيوس(الحمار) لكثير من العذاب جوعا وقسوة فظل أسير المعاناة والتنكيل والاضطهاد في أيدي الكثير من البشر بما فيهم اللصوص والرهبان . وبعد انتقاله من يد إلى يد، كان يطّلع في مغامراته السيزيفية على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، و يعرف ضروب الفسق الآدمي، علاوة على العار، و ضربات العصا و

الظلم في مخاطرات كثيرة إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا، و لم يتحول إلى حالته الأولى إلاّ على يد كاهن يحرس معبد الآلهة "ايزيس."

إن قضية المسخ قديمة إذ وجدت في الملاحم القديمة حيث كان الإنسان يتحول إلى قرد أو حيوان أو سمكة أو شجرة أو حجرة، ويعبر تحول لوكسيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني والعقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته وإنسانيته، كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه الزناة ومنحطو الأخلاق ،ذلك أن لوكسيوس سيدخل في علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وقد يدل هذا المسخ على انحطاط الإنسان وعدم سموه أخلاقيا. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه الإيروسية وانفعالاته البشرية العدوانية وتدخل المنقذة إيزيس. لذلك نلفي الكاتب يشيد بإيزيس الآلهة المخلصة وبالديانة الشرقية وفي نفس الوقت يسفه بالديانات الرومانية وانحطاطها الأخلاقي، ووصفه لبعض العادات والتقاليد السائدة في عصره وهجوها نقدا وتسفيها. وقد آل هذا التحول الفانطاستيكي إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة، بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات المضنية والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة .

وعلاوة على كونه مسرحيا كان أيضاً شاعرا كبيرا خاصة في ديوانه (الأزاهيرFlorides ، وهو عبارة عن مقتطفات شعرية ألقاها في قرطاج وقد ترجمها إلى اللغة العربية الدكتور فهمي خشيم. ويضم هذا الديوان ثلاثا وعشرين قطعة من خطاباته تتفاوت طولاً وقصراً، جمعها أحد المعجبين به كباقة جمعت أجمل زهور بلاغته، و كان يتبجح فيها بأنه يتقن الفنون على اختلافها، وكان يتوجه لمساعد القنصل في شيء من الخيلاء البريئة قائلا: " أعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط، أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة، أو فيض الوجدان، لمرح الملهاة أو جلال المأساة، وكذلك لا أقصر لا في الهجاء و لا في الأحاجي و لا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء، والحوارات يتذوقها الفلاسفة. ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء سواء باليونانية أم باللاتينية بنفس الأمل ونفس الحماس ونفس الأسلوب "

كما أتقن ترنتيوس آفر اللغتين اليونانية واللاتينية علاوة على لغته الأمازيغية التي لم يفرط فيها قيد أنملة. وألف الكثير من المسرحيات ولم يبق منها إلا ستة أعمال فقط. وفي كل سنة كان يطلع على الجمهور بنص مسرحي ما بين 166 و160 قبل الميلاد. وطارت شهرته الكبيرة دفعة واحدة، ونال الجوائز، فحسده الحساد واتهموه بالسرقة

الأدبية، فدافع عن نفسه بما كان له من قوة. فأنصفه التاريخ من بعد، ورد إليه نقاد العصور المتعاقبة اعتباره كاملا وبينوا أن تأثيره في الأدب المسرحي بقي ظاهرا إلى حدود القرن السابع عشر، وهو صاحب القولة المشهورة: " أنا إنسان؛ لا يخفى عني أي شيء مما هو إنساني". ومن إفراطه في حب الأدب أنه مات حزنا بأرض اليونان، بعد أن ضيع في البحر مخطوطات له، وهو ابن الثلاثين، أو الخامسة والثلاثين، ومن مسرحياته الست المشهورة: "فتاة أندروس"، و"الحماة"، و"المعذب نفسه"، و"الخصي"، و"فورميو"، و"الأخوان ."

كما عرف في الأدب الإفريقي الشاعر فلوروس Florus الأمازيغي الذي ولد في أفريقيا، وسافر إلى روما التي ظل فيها خطيبا مفلقا ومؤرخا وشاعرا، وكان يشارك في المهرجانات الشعرية التي كانت تقام بالكابيتول، ومن كتبه" ملخص التاريخ الروماني. "

أما في الأدب الإفريقي الحديث فنذكر "ليوبولد سيدار سنغورLéopold

" Sédar Senghorرجل دولة وأديب سنغالي، صدر لسنغور «قرابين سوداء» (1948) و«مختارات من الشعر الزنجي الحديث» (1948) و«أثيوبيات» و«ليليات»(1961). انتخب سنغور في 1960م رئيساً للسنغال أصدر «حرية رقم 1» (1965)، و«حرية رقم 2» (1971) «رسائل من المشتى» (1973)، و«حرية رقم 3» (1979). وفي 1980 اعتزل السياسة وتخلى عن منصبه الرئاسي تاركاً السلطة لأبدو ديوف. وتفرغ سنغور للثقافة والأدب وأصبح عام 1983 عضواً في الأكاديمية الفرنسية وهو الإفريقي الأول الذي يدخلها. ونشر عام 1988 «ما أؤمن به Ce que je crois «موضحاً فكرة الزنوجة. ومن ثم نشر «حرية 5» (1997.(

توفي سنغور في فيرسون Verson في النورماندي شمالي فرنسا حيث كان يقطن مع زوجته الثانية

الفرنسية "كوليت هوبير "، وخلَّف على الصعيد السياسي صورة لرجل اتّبع نهجاً صارماً في

أهدافه، واقعياً ومعتدلاً في تطبيقه وإن كان قد بدا للآخرين رجلاً مثالياً في تقبله للمجتمع الآخر، إلا أنه كان في الواقع يشعر بالعزلة والاغتراب ويبحث عن هويته. وعندما أراد أن يختار بين الوصاية والحرية وبين الانتماء وعدم الانتماء، وبين القبول والرفض لحضارة مستوردة اختار السمات الإنسانية. وعلى الصعيد الأدبي تغنى في شعره بإفريقيا جديدة تصحو بعد سبات استمر قروناً، وعظَّم عرقاً تعرّض لإهانات فتجاوز الكراهية وزرع المحبة.حاول سنغور بلوغ ذروة في الشعر، تتلاقى عندها الثقافات الصديقة مولياً اهتمامه للإيقاع rythme لتقارب الشعر والموسيقى (الجاز.(

أما فكرة الزنوجة فقد كان رفيق دربه إيميه سيزير، الذي رفع معه الراية في وجه العنصرية التي واجهها المفكرون الأفارقة في الوسط الأوربي، خير من عبَّر عنها عندما قال: «إن الزنوجة هي اعتراف المرء بأنه أسود وتقبله لقدره ولتاريخه ولثقافته. «

المحاضرة الخامسة: الأدب الروسي.

تكوّنت اللغة الروسية في الأدب في اعتماد كبير على اللغة السلافية SLAV والتي كانت تتحدثها شفاهة جماعات البدو السلافية في شرق القارة الأوروبية، حتى كوّن رجلا الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية القديمة سيريل و ميتود Cirill , Metod عام 863 ميلادية تقريبا الحروف الأولية الأولى للكتابة السلافية ,ALPHA ثم سافرا معاً إلى ألمانيا وروما لنشرها في الكنائس وتركا عدة مخطوطات تحفظ أجرومية اللغة وأصولها، اتسمت كلها بالطابع الديني (إنجيليات وتبشيريات)، أما مستوى اللغة المكتوبة فكان قريباً من اللغة الشفاهية، إضافة إلى جرس الشعر الذي كانا يجيدان قرضه

وأقدم مخطوطة وصلتنا من الأدب الروسي القديم هي "إنجيل أوسترومير" المتضمن نصوصاً دينية منسوخة عن ترجمة بلغارية ومقدمة لحاكم نوفغور رود أوسترومير في 1056م-1057.

ومن أوائل الأعمال في الأدب الروسي القديم " ملحمة إيغور" لمؤلفها المجهول والتي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي.

وتعد كذلك قصة" رسالة توسل وخطاب دانيال المنفي "molenie i slovo Danila Zatochnika" " من أهم الأعمال الروسية، وهي معروفة في صيغتين (التوسل والخطاب) وهما تعودان للقرن السادس عشر والسابع عشر عن نسخة أصلية يعتقد أنها تعود إلى العقود الأخيرة لما قبل الغزو التري-المغولي، لكن لا مؤلف العمل المدعو دنيال معروف ولا المرسل إليه الأمير ياروسلاف أيضاً.

وربما يكون العمل على الأرجح ضرباً من القصص الخيالي، وقع دنيال لأسباب مجهولة في فقر وتخلى عنه أصدقاؤه وأسرته، وهنا يتوجه إلى الأمير من أجل الدعم المادي آملا أن يمنح مكافأة لقاء عمله الذي ينم عن موهبة وذكاء، يستهل مناشدته للأمير بمديح متملق يتحول إلى هجاء مرتكز على موضوعين تقليديين حول الزوجات الشريرات والرهبان المستسلمين لشهواتهم، النص خليط من اقتباسات من مصادر دينية وغير دينية، حكم، أمثال سائرة، أقوال مأثورة

وكان أدب السيرة الجنس الأكثر شيوعاً من الأدب الروسي القديم، وقد كتب العديد من السير للاحتفال بذكرى بناة الأديرة في الشمال أمثال القديس ليونتي روستوفسكي، والقديس نيكتيا بيريسلافل، والقديس فارلام الخوطوني وغيرهم .

كما برزت من القصص" قصة حياة وبسالة الأمير ألكسندر المخلص والعظيم" المكتوبة عام 1263م، والتي ركز فيها على إنجازاته الرئيسية كقائد سياسي وعلى انتصاراته على السويديين واللفونيين وعلى الفرسان التيوتونيين .

كما تعتبر ملحمة " قصة تدمير باطو لريزان" عملا ملحمياً معقداً فائق الروعة من الناحية الشعرية، يتناول المؤلَف الموضوع بطريقة تعبير غنائية عاطفية، يحكي كيف دمرت المدينة وكيف قتل أمراؤها .

وفي عام 1339م ظهرت ملحمة "زادونيشينا" على يد سوفونيا الريزاني والتي تمزج في قصصها مع ملحمة"إيغور "

وفي عام 1396م نجد قصة" حياة القديس أصطفان أسقف بيرم" التي كتبها الراهب ايبيفاني الحكيم .

وفي عام 1420م كتب إيبيفاني كذلك" حياة القديس سيرغي الرادونيجي" ، وظهرت "قصة القسطنطينية" عام 1512م، كما ظهرت بعض الأعمال المترجمة منها " ملحمة طروادة" لغويدو دي كولومنا المستكملة عام 1287م والمترجمة عن الطبعة الألمانية، وكذلك ترجمت قصة" جدال بين الحياة والموت" عن ترجمة نيكولاس ميركاتور الألمانية الصادرة في لايبزغ عام 1484م، كما ظهرت "قصة دراكولا" مكتوبة من قبل روسي على معرفة لأسطورة دراكولا ومثلث هذه النصوص اتجاها جديدا في الأدب الروسي، وأخيرا برز عمل متميز بعنوان "رحلة وراء ثلاثة بحار" بقلم التاجر أفاناسي نيكيتين .

كما كتبت" قصة أحداث 1612-1620" لأفرامي باستين، و"خطابات 1612-1624 لإيفان تيموفيف، و"وقائع 1612-1919لإيفان خوفورستنين، ورواية "حقيقة في ذكرى الشهيد المؤمن الأمير ديميتري وحكاية مقتله" لسيميون شاخوفسكي المكتوبة على الأرجح في عشرينيات القرن السابع عشر

كما نشرت عظات سيميون بولوتسكي بعد وفاته في جزأين "الغذاء الروحي" عام 1681، و"العشاء الروحي" عام 1683، وكتبت المسرحيات الأولى لمسرح القصر الجديد مثل مسرحية" الولد الشاطر" وتراجيديا"حول الملك تنبوخذ نصر"، وبقي لسيميون بولوسكي عملان غير مطبوعين هما "حديقة الأزاهير" و"نظم القوافي" يحتوي الأول على أشعار في الهجاء والمديح والوعظ، والثاني قصائد غنائية وأشعار مناسبات عن القيصر وعائلته، أما ترجمته

الشعرية ل"المزاميرpsalter"فطبعت في موسكو عام 1680م وجرى إعداد مسرحي لها مع موسيقا مصاحبة في نهاية القرن .

ومن أعمال فيوفان بروكوبوفيتش" خطاب في السلطة والكرامة القيصرية 1718" و"خطاب في مديح الأسطول الروسي 1720" والكوميديا التراديجية بعنوان "فلاديمير" المكتوبة عام 1705بشعر موزون

وبعد 1730م وضع تريديكوفسكي وسوماروكوف أطرا لنظام أجناس أدبية معقد كان مختلفاً عن السابق وصاغوا قواعد كان الكاتب الجاد مضطراً عملياً لاتباعها، فطور تريديكوفسكي ولومونوسوف نظاماً جديداً للكتابة الشعرية مستبدلين الصورة الكلاسيكية للمقاطع اللفظية المحتوية على حركات طويلة أو قصيرة بمقاطع محتوية على حركات منبورة أو غير منبورة ، وقد اهتموا بإنشاء لغة أدبية روسية حديثة واضعين أسساً أولية أوصلها إلى مرحلة الاكتمال بوشكين ومن أتى بعده مباشرة في مطالع القرن التاسع عشر .

وتنقسم أعمال بوشكين إلى ثلاثة أقسام هي القصائد والمسرحيات والنثر. ومن أبرز قصائده ذكريات إلى تسارسكوي سيلو (1814)، الحرية (1817)، محاكاة القرآن (1824)، الرسول (1826)، الإعصار (1827)، الفرقان (1828)، صباح شتائي (1829)، السيل العارم (1829)، الغجر (كتباها خلال عامين) (1824). ومن أبرز ما كتب في المسرح مأساة تاريخية (1825)، ضيف بطرس (1830)، الفارس البخيل (1836)، موزار وساليري (1830)، الوليمة في زمن الطاعون (1830). أما فيما يخص كتاباته النثرية فتعد روايتي عبد القيصر بطرس الأكبر (1827)، والتي كتبها بسبب تأثره بتاريخ جده إبراهيم جانيبال، إذ يتطرق فيها إلى قصة هذا الجد الذي تم إهداؤه إلى القيصر بطرس الأول، وأصبح من المقربين إليه، وتعد هذه الرواية من أعظم الروايات التاريخية الواقعية في تاريخ الأدب الروسي، وكتب رواية بنت القبطان (1836) التي وصف فيهما حياة المجتمع الروسي، كما حاول وصف مجتمعات أخرى من خلال أعماله وذلك بكاتبه لرواية "سجين القوقاز" حيث يصف فيها تقاليد الشركس الذين يسكنون جبال القوقاز في العام (1821. (

ويجمع العديد من النقاد أن بوشكين أسس الأدب الروسي الحديث بعد تحريره من التبعية للآداب الأجنبية.

أما الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي (1828–1910) يعد من عمالقة الروائيين الروس ومن أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض يعدونه من أعظم الروائيين على الاطلاق.

ومن أشهر أعماله روايتي " الحرب والسلام" و "أنا كارنينا" وهما يتربعان على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية.

وكان مناهضا للعنف وتبلور ذلك في كتابه " مملكة الرب بداخلك " وهو العمل الذي أثر على مشاهير القرن العشرين. تناول في كتاباته الأدبية مواضيع أخلاقية ودينية واجتماعية.

وفي المرحلة الأولى من حياته كتب ثلاثة كتب وهي الطفولة (1852م)؛ الصبا (1854م)؛ الشباب (1857م). وسئم حياته تلك فالتحق بالجيش وشارك في بعض المعارك وكتب عن تجاربه تلك موضوعات نُشرت في الصحف، وألَّف عنها كتابه القوقاز (1863م.(

ويُعد كتاب الحرب والسلام (1869م) من أشهر أعمال تولستوي، ويتناول هذا الكتاب مراحل الحياة المختلفة، كما يصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في الفترة ما بين 1805 و1820.

وفي أواخر حياته عاد تولستوي لكتابة القصص الخيالية فكتب موت إيڤان إيلييتش 1886) كما كتب بعض الأعمال المسرحية مثل قوة الظلام (1888م). وأشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته كانت البعث وهي قصة كتبها عام (1899م)، وتليها في الشهرة قصة الشيطان (1899؛ كريوتزسوناتا (1891م)؛ (الحاج مراد) التي نُشرت بعد وفاته والتي توضح عمق معرفته بعلم النفس، ومهارته في الكتابة الأدبية. وقد اتصفت كل أعماله بالجدية والعمق وبالطرافة والجمال .

المحاضرة السادسة: الأدب التركي.

لقد قسم الباحثون الأدب التركي القديم إلى قسمين: أدب ما قبل الإسلام، وأدب ما بعد الإسلام.

وقد تشكل الأدب التركي ما قبل الإسلام كغيره من الآداب القديمة بما تداولته الشعوب من أساطير.

والأسطورة هي أول وأهم مصدر للمحاكاة الأدبية تناولتها الألسن عند الأتراك القدامى. ومن أبرز الأساطير التركية القديمة أسطورة بوزقورت (الذئب الأغبر)، التي تروي أن قوم غوك تورك نشأوا من أنثى ذئب، وأسطورة أرغنوكون، التي تروي خروج أتراك غوك تورك من أرغنوكون بصهرهم جبلاً من الحديد. أمّا أول مصدر مدون ومعروف في الأدب التركي فيتمثل في مسلات «أورخون» المكتوبة بأبجدية غورك تورك في القرن الثامن الميلادي. وقد تمت ترجمة النصوص التركية المنقوشة في هذه المسلات إلى لغات عدة. وأبرز هذه المسلات هي المسلات المنصوبة باسم طونيوكوك وكول تغين وبيلغة قاغان. وتكمن أهمية هذه المسلات في توثيقها وجود لغة كتابة تركية حية وغنية في التعبير وقتذاك.

أما الملاحم أهمها ملحمة" ماناس manas "وهو أعظم بطل تعيش ذكراه في شتى أقاليم الترك بدءاً من شرق تيانشان حتى منطقة قيريم، ثم امتدت لتشمل كذلك جونجاريا وشمال قفقاسيا وثمة قبر يقع في الجهة العليا لمنطقة تالاس ينسب إلى هذا البطل، وقد تشكلت هذه الملحمة قبل عصر جنكيز وبالتالي قد ظهرت بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين، وقد اضطلع العالم "رادلوف Radlof أول الأمر بجمعها ونشرها ثم قام بضبط وتخريج روايتها بعد ذلك، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر دخلت هذه الملحمة بعض مناقب الأبطال الخاصة بهذين القرنين، ويشار في هذه الملحمة للقائد أرماناس الذي كان بطلا يخدم في دولة "القره خانيين" وقد قاد صراعات كثيرة باسم الإسلام مع قبائل أتراك قالمون الكافرة ، كما نجد ملحمة" كور أغلي koroglu "، كذلك نجد ملحمة "أوغوز" في إقليم التاي يني سي، والتي لازالت حكاياتها حية لحد الآن في مختلف البقاع والأصقاع التركية.

ونجد أيضاً ملحمة" ألب أرتونجه Alp Ertunga "والذي قدمها وأماط اللثام عنها لأول مرة الأستاذ زي وليدي دوغان، ويرى الباحثون أن "ألب أرتونغه" هو بعينه الحاكم الطوراني افراسياب صاحب المناقب الكبرى الذي ورد ذكره في شاهنامة الفرس .

أما ملحمة "الأوغوز" فتتحدث عن هيمنة الترك وبسط نفوذهم على مختلف الشعوب والأقوام وعن فتوحات الحاكم الأسطوري التي شملت الصين وإيران وقفقاسيا حتى طوف ببحر الخزر وتعود هذه الملحمة للفترة ما بين 226-209 ق.م.

أما في الشعر فقد برزت المراثي بشكل بارز والتي كان يترنم بها بمصاحبة آلة القبوز، وكانت معظمها طويلة مرتبة بأوزان بسيطة، يذكر فيها الشاعر مناقب الميت .

كما تبوأت الأشعار التعليمية مكانة واسعة بين الأشعار التركية القديمة، وهي عبارة عن مقطوعات أخلاقية بمثابة دليل مرشد في الحياة، وأحياناً يحوي قسم من هذه المقطوعات بين ثناياه صفة (ضرب المثل) وخصائصه، ومما يجذب النظر في هذه المقطوعات أنها تبرز الأسس والمبادئ التي تعتمد عليها الأخلاق التركية .

كما نجد في التراث الأدبي القديم للأتراك ما يسمى بالتمثيليات الدينية، فقد وجدت طائفة من نماذج الطقوس والشعائر عند الأتراك الأقدمين مثلما كان موجوداً في العصور البدائية لسائر الأمم الأخرى، فمثلاً كانت هناك طقوس وشعائر دينية تقام من أجل الاحتفال بذكرى منقبة "أرجنه قون" وهذه التمثيلية عبارة عن صراع يدور بين طائفة من الفرسان لينقذوا جدياً مذبوحاً من بين مخالب الذئاب .

ولم يعرف الأتراك الإسلام إلاّ في القرن الثامن ميلادي، وبدأ الادب المدون بعد القرن التاسع ميلادي.

فكان انتشار الإسلام بقوة في ظهراني الطوائف التركية، وقد صادف عصر هيمنة السامانيين وبسط نفوذهم.

وفي سنة1921م قدم سفراء بلغاريا إلى الخليفة العباسي المقتدر طالبين إليه طائفة من علماء الدين في معية خبراء عسكريين لتشييد القلاع والحصون، وكانت العلاقات الاقتصادية والحضارية ذات أثر عظيم في نشر الدين الإسلامي، ثم تشكلت الطرق الصوفية ، وقد تنوعت الآداب بين المرثية والملحمة وأغاني الصيد وأشعار العشق والخمر والحكم.

ومن المناقب الإسلامية عند الأتراك مناقب "صاتوق بغراخان" وتتحدث هذه المجموعة عن المناقب المنثورة في كرامات صاتوق بغراخان أول حاكم مسلم من سلالة "القره خانيين" وكيف قبل هذا الحاكم وقومه الإسلام بواسطة الشيخ "أبي نصر الساماني" وتعرضت أيضاً لأحوال بغراخان وأولاده، وتفصل هذه المنقبة القول في كثير من الأحداث التاريخية وتؤكد على الأماكن الجغرافية لهذه الأحداث .

ومن أبرز المؤلفات التركية في ذاك العصر كتاب"قوتا دغو بيلك"وقد وضعه يوسف البلاساغوني في سنة 462هـ/1069م وكتب هذا الأثر باسم"تافجاج بغراخان" وقد تبوأ يوسف بهذا الكتاب رتبة الحاجب الخاص في قصر كشغر، ومعنى الكتاب" العلم الذي يهب السعادة أو العلم اللائق بالسلاطين "

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة وسبعين فصلاً تضم ستة آلاف وخمسمائة بيتاً من الشعر

أما في العصر السلجوقي فثمة زمرة من الشعراء نذكر منهم: برهاني وأمير معِزِي ورشيدي سمرقندي، وظهر كذلك عالم الرياضيات المشهور عمر الخيام صاحب الرباعيات، وأنوري الشاعر النظام والشاعر أرزاقي وعبد الواسع جبلي، ثم جاء من بعدهم كل من قطراني وتبريزي وخاقاني وشيرواني وإمام فخر الدين مسعودي وأبو حنيفة اسكافي وجميعهم من الأساتذة العظام ذوي القيمة العظمى في مضمار الشعر .

أما الشعر الصوفي فبرز الشاعر الكبير أبو سعيد أبو خير والشاعر حكيم سنائي والشاعر فريد الدين العطار، كما نجد "ديوان الحكمة لأحمد يسوي، وهو يتضمن مدائح تتحدث عن فضائل الدراويش والزهد، وتوجد في آخره مناقب إسلامية مشهورة مستخلصة من نتائج دينية أخلاقية

أما في عصر المغول فثمة سبعة عشر مؤلفاً بالمغولية ترجع إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ومن هذه المؤلفات كتاب" يوان جاميشي" أي التاريخ السري للمغول .

ولا يمكن الحديث عن الأدب التركي دون أن نشير إلى الشاعر الكبير ناظم حكمت الذي يعتبر واحداً من أبرز شعراء العالم الذين ناضلوا من أجل حرية الإنسان وكرامته. فقد تنقّل من سجن إلى سجن، ومن منفى إلى منفى، في سبيل ما آمن به. وقد قدّم للإنسانية أدبا مفعما بالتفاؤل من أجل خلق عالم أفضل. في السادسة والثلاثين من عمره، حاز على جائزة السلام العالمي، نتيجة لنضالاته وانحيازه للإنسان وحريته، ومن أجل العدالة والديمقراطية، وهذا ما أكسبه شهرة عالمية.

كان ناظم حكمت في شعره، يُنادي بتحرّر جميع الشعوب المضطهدة، ومن أجل ألّا يبقى إنسان واحد على وجه الأرض مستعبَداً. صحيح أنّ ماء شعره كان يتدفّق من ينابيع الوطن الأم، تركيا، ولكنّه أراد لهذا الماء العذب، أن يروي العالم كلّه.

ولأنّ التفاؤل هو مادة أدب ناظم حكمت، فقد وظّفه كأداة للنضال والتحرّر من الظلم. فهو من قال:

أجمل البحار، هو البحر الذي لم نذهب إليه بعد.

وأجمل الأطفال، أولئك الذين لم يكبروا بعد.

وأجمل أيامنا، هي تلك التي في انتظارنا.

وأجمل القصائد، هي تلك التي لم أكتبها بعد .

من هنا يبدو شعر ناظم حكمت مرتبطا بالتفاؤل، وكلماته الرائعة هذه، مفعمة بالأمل، تجعل الإنسان ينظر إلى الأيام المقبلة على أنّها أيام سعيدة يجب أن يعمل لبلوغها، وينظر إلى الآفاق المقبلة على أنّها آفاق لامتناهية مفتوحة على الأمل وسعادة الإنسان. ومن ينابيع ناظم حكمت وكلماته الرائعة، استقى شعراء الإنسانية كلماتهم وأحاسيسهم.

المحاضرة السابعة: الأدب الألماني

شكلت القبائلُ الألمانية التي نزحت إلى أوروبا الغربية قصائدها الوطنية وقصصها عن أوثانها وأبطالها ونقلتها شفهياً من جيلٍ إلى آخَر. وبعد وقف الهجرة تولَّت الأدْيِرَةُ والكُهَّانُ عملية التأليف والتعليم. غير أنه لم يبق من هذه الأعمال سوى القليل مثل العمل الشعري الملحمي (هيليند) أي (المخلِّص) الذي لم يُعْرَفْ مُؤَلِّفُه .

أما في العصر الذهبي الأول (1150-1250) فكان الشعر الملحمي أكبر إسهام للأدب الألماني في هذه الفترة. فقد كتب الفرسان ملاحم في الحب والفروسية. وتجول شعراء (المينيسينجر) الذين كانوا يشبهون شعراء (التروبادور) الفرنسيين يغنون قصائد في الموضوعات نفسها. ثم قام مؤلفون مجهولون بتسجيل حكايات ألمانية قديمة مثل أغنية (عائلة النيبلونج) و(جودرين) اللتين تمجدان الشجاعة والولاء الألمانيين. وقد تأثرت ملاحم البلاط بالأدب الفرنسي لأنها قلَّدت حكايات الملك (آرثر) وفرسان المائدة المستديرة الإنجليزية التي انتقلت إلى ألمانيا عن طريق فرنسا. ثم إن أدب هذه الفترة قد تأثر بالأدب العربي والإسلامي عن طريق الحملات الصليبية. وأشهر ملاحم هذه الفترة اثنتان: (هنري الفقير) و(بارسيغال .(

أما في الفترة الانتقالية الممتدة ما بين (1250-1750م) تخلَّى فرسان العصر الذهبي الأول عن مركزهم القيادي الثقافي لأبناء الطبقة المتوسطة واستُبدلت الواقعية بالمثالية الرومانسية .

وقد صورت ملحمة (مائير هلمبرشت) انحطاط عهد الفروسية، كما استُخدمت الخطابة على لسان الحيوان لتعليم دروس عملية. وقد نالت ملحمة (الثعلب راينارد) الساخرة، ونوادر (أيولينشبيجل) شهرة كبيرة. كان القرن السادس عشر عصر النهضة الروحي للأدب الألماني في مجالي العلوم الإنسانية والإصلاح الديني. وأشهر عمل أدبي في هذه المرحلة هو (فلاح بوهيميا) لـ (جوهانز فون ساز)، كما حاول كُتَّاب الحركة الإنسانية البحث في فلسفة تاريخ الرومان والإغريق القديم لإيجاد مثالية إنسانية جديدة. وفي مجال الإصلاح الديني يكفي أن نذكر (مارتن لوثر) الذي ترجم الإنجيل إلى الألمانية وكتب رسائل في ضرورة الإصلاح الديني .

وفي العصر الذهبي الثاني (1750-1830م) كان عَصْر "غوته" في الأدب، و"كانط" في الفلسفة، وهو أهم عصور الأدب الألماني كلها .

أثَّرتْ حركة الإصلاح التي اجتاحت أوروبا في الأدب الألماني في القرن الثامن عشر، وقد مَثَّلَها "ليسينج" الذي كان أول ناقد ألماني بمعنى الكلمة. دعا "ليسينج" إلى المزج بين قيود التراث اليوناني وحماس (شكسبير)، ومن أهم مسرحياته "ناتان الحكيم" التي دعا فيها إلى التسامح .

ثم جاءت حركة العاصفة والتأكيد كَرَدِّ فِعْلٍ ضِدَّ الشكلية الفرنسية. وقد دعا كُتَّابُ هذه الحركة إلى العودة إلى الطبيعة بدلاً من الحضارة، والأصالة بدلاً من التقليد؛ والدِّين بدلاً من السخرية؛ والعاطفة بدلاً من العادات الرسمية. وقد بدأ كُلٌّ من (غوته) و(شيلر) مهنتَهُ ككاتب في حركة العاصفة والاندفاع. وقد شَهِدتْ هذه الفترة مَوْلِدَ الجُزْءِ الأول من مسرحية (فاوست) التي بدأ (غوته) كتابتها عام 1770م؛ ومسرحية (اللصوص) لـ (شيلر) وقد وُلِدَتِ الحركةُ الرومانسية الألمانية من حركة العاصفة والتأكيد، وكان كِتابُ (غوته) (آلام فرتر) أول إنتاج الحركة الرومانسية؛ والكتاب يعكس ما شعر به الكاتب من التشاؤم بعد غزو (نابليون) لألمانيا. وتشمل قائمة كُتَّاب هذه الحركة أشهر الأسماء في الأدب الألماني مثل (الأخوين ويلهلم) و(فريدريتش شليجل .(

أما الأدب الألماني في المرحلة الممتدة ما بين (1830-1890م) فقد برز من الكتاب الشاعر (هايني هاينريتش) الذي يُعَدُّ واحداً مِنْ أعظم شعراء ألمانيا الغنائيين. وكان للواقعية أهمية كبيرة في حركة الشباب الألماني، فقد ثار الواقعيون ضد المبالغة في العواطف والرومانسية وعادوا إلى وصف الحياة بصورة موضوعية. وكان (فريدريتش هابل) أبرز المسرحيين الواقعيين. ثم تخلَّتِ الواقعيةُ عن دورها للطبيعية بعد عام 1890م. وقد رَكَّزَتِ الطبيعيةُ على الظُّلْمِ الاجتماعيِّ والجريمة وحالة الفقر ودور الوراثة في التطور الإنساني. فقد كان (ماركس، وداروين، ونيتشه، وإبسن) من القوى الفكرية التي أثَّرت في الحركة الطبيعية. وكانت مسرحية (النسَّاجون) لـ (جرهارت هاوبتمان) أفضل ممثل للحركة الطبيعية. وبدلاً من التركيز على جروح الحياة الدامية، رأت حركة أخرى هي الحركة الانطباعية العودة إلى التأكيد على الأدب الجمالي والمثالي. وقد قدم (وماس مان) كاتب ألمانيا الانطباعي الشهير شخصياتٍ حساسةً في رواية (الجبل السحري) وروايات مهمة أخرى. ومن كتاب هذه الحركة المهمين أيضاً (هيرمان هيسه) (1927م)، و(أرثور) الذي عُرِف بتحليله للعواطف الإنسانية في القصص القصيرة والمسرحيات التي تناول فيها الملكية القديمة. وقد نشأت التعبيرية أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، وإنتاجها في مجمله له سمة الأحلام المزعجة؛ غير أنها تشترك مع الحركة الطبيعية في هدف التركيز على التقدم الاجتماعي. وقد احْتَجَّتِ الرواياتُ والمسرحيات التعبيرية على الظلم السياسي والاجتماعي. ويُعَدُّ (فرانز كافكا) وهو كاتب تشيكي كتب بالألمانية من أعظم كتاب الحركة التعبيرية. وقد كتب (كافكا) عن سعي الإنسانية إلى الله والعدالة في قصصه

القصيرة ورواياته مثل رواية" القلعة". والاسم التعبيري الآخر اللامع هو (بيرتولت بريخت) المعروف بمسرحياته الهجائية، ومن بينها (أوبرا البنسات الثلاث.(

أما الأدب الألماني بعد 1945م فتناول تجارب الأمة تحت الحكم النازي وفي الحرب. فقد رَكَّزَ (كارل زوكماير) في مسرحيته (شيطان الجنرال) عام 1946م على الماضي النازي عندما حَلَّلَ الصراع بين الضمير والطاعة لدولة فاسدة أخلاقياً، ورواية "ستالينجراد" عام 1946 لكاتبها (ثيودور بليفيار)، كما نجد رواية "المهزوم" عام 1949م (لهانز فيريز ريختر .(

ويُعَدُّ كُلٌّ من (فريدريتش دورينمات) و(ماكس فرتش) السويسريين من أبرز المسرحيين الذين كتبوا بالألمانية. وإضافة إلى هذين، هناك (روولف هوخهوت)، و(بيتر فايس) في المجال نفسه. أمَّا في الرواية الألمانية الغربية بعد الحرب فإن أبرز الأسماء هي (هاينرش بول) الذي ألف "أين أنت يا آدم" عام 1951م، كما نجد رواية "التأملات" لكاتبها أوى جونسون عام 1959 التي عالج فيها علاقة ألمانيا الشرقية بالغربية، وروايته أيضاً "الكتاب الثلاث" عام 1961م ، أما (غونتر غراس) فقد لاقت روايته " طبلة من الصفيح" نجاحاً ساحقاً عام 1959 وترجمت إلى معظم لغات العالم، كما له رواية " القط والفأر" التي كتبها عام 1961م، و"سنوات الكلاب" عام1963، وقد أسهم العديد من كتاب ما بعد الحرب مثل (بول، وغراس) في قيادة الأدب الألماني اليوم .

المحاضرة الثامنة: الأدب الفرنسي

بدأ الأدب الفرنسي في القرن التاسع الميلادي، خلال العصور الوسطى. وكان الشعر يطغى عليه. وبالتدريج برز نوعان من الشعر: أولهما: الشعر الغنائي الذي ازدهر بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين، والثاني هو: الشعر القصصي الذي يشتمل على أربعة أنماط مهمة، منها القصائد الملحمية، التي تسرد حكايات عن الحروب والأعمال البطولية، وأشهرها أغنية رولان في القرن الثاني عشر الميلادي. ومن الأنماط الأخرى القصة الخيالية والرومانسية. وهي حكاية طويلة تمتلئ غالبًا بالمغامرات الخيالية. ومن أشهر ما كُتب فيها قصة الوردة، التي ألفها غيوم دو لوري وجان دو مون في القرن الثالث عشر الميلادي. والنمطان الآخران هما الحكاية الشعرية القصيرة والقصة الخرافية.

كما كتبت بعض القصص الخيالية الرومانسية نثرًا. وكانت المسرحية في أول ظهورها شعرية دينية، ومن أنواعها: المسرحية الدينية ومسرحية المعجزات والمسرحية الأخلاقية.

أما في عصر النهضة وهو يغطي القرن السادس عشر الميلادي بأكمله تقريبًا في فرنسا. فقد ازدهر فيه العلم والمعرفة بتأثير من الأدب الإيطالي والنماذج الإغريقية والرومانية القديمة. ويعرف كُتاب وعلماء هذا العصر باسم الإنسانيين. ويعتبر (فرانسوا رابيليه) أهم الكُتَّاب الروائيين في هذا العصر، وأهم أعماله: "جارجنتوا وبَنْتَاجرويل" وهي عبارة عن قصص مضحكة أحياناً، تحتوي على صور كثيرة من التراث الشعبي والفلكلوري لفرنسا، ومن حقائق التاريخ الفرنسي في ذلك الوقت كما تحتوي هذه القصص على معلومات قيمة في القانون والطب والفلسفة. أما في الشعر فقد برزت مجموعة من سبعة شعراء عُرفوا باسم نجوم الثرَّيا وتزعمهم (بيير دو رونسار (Pierre Ronsard.أما البقية فهم:(بواقيم دي بوليليه (Joachim du Bellay وو(يونتوس دي تيار Ponthus de Tyard)و(بابيف (Baif و(بلتير (Peletier و(بللو (Belleauو(جوديف Jodelle . (وكان آخر كُتَّاب عصر النهضة الكبار (ميشيل دو مونتانه)، الذي ابتدع المقالة الشخصية، وأضافها إلى الأشكال الأدبية المعروفة .

كما (كان فرانسوا دو ماليرب) أول شاعر كلاسيكي له أهميته، كما كان أكثر الشعراء نفوذًا في هذا الباب. وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي كان (ماليرب) يكتب شعرًا يتصف بالوضوح والمعقولية واليقظة، وأصبحت هذه الصفات هي المميزات والأسلوب الأساسي للشعر الكلاسيكي. كذلك فقد كان كل من (جان دي لا فونتين) و(ديسبرو نيقولا بوالو) من أبرز الشخصيات القيادية بوصفهم شعراء كلاسيكيين. وكتب (لافونتين) مجموعة

مشهورة من قصص الحيوان شعرًا، وأطلق عليها اسم "الخرافات" وذلك في الفترة بين عامي 1668 و1694م. وكتب (بوالو) كتابًا بعنوان "فن الشعر" (1674م). وفي هذا الكتاب الذي أُلِّف في نقد الشعر وصف المؤلف الأسس الأدبية الخاصة بالاعتدال ونبل الأسلوب وهي الصفات التي تحلى بها الشعر الكلاسيكي في الفترة التي كتب فيها.

كما برزت المسرحية الكلاسيكية بوصفها أحسن تعبير للكلاسيكية الفرنسية. وكان أساتذة المسرحية الكلاسيكية هم (بيير كورني)، و(جان راسين)، و(موليير)، وكان (كورنيّ) أول كاتب كلاسيكي مشهور للمأساة. ونجد أن مسرحياته تقدم لنا شخصيات نبيلة قد تورطت في نزاعات مع الواجب، والولاء والحب. وكان (كورني) يهتم بأهمية العزيمة، والسيطرة على النفس، والشرف، والحرية. ومن بين مؤلفاته المأساوية التي كتبها "السّيد" (1636 أو 1637م)؛ "هوراس" (1640م)؛ "بولي يوكْتْ" (1642م (

أما (راسين) فقد كان أشهر كتّاب المأساة الكلاسيكية. وتظهر مسرحياته شخصيات في قبضة عواطف لا يستطيعون السيطرة عليها. وتغلب على أعماله مسحة التشاؤم الدينية التي تصبغ مؤلفاته. واستطاع راسين أن يطوّع الموضوعات الإغريقية والرومانية العتيقة في بعض أعماله الممتازة مثل "أندروماك "(1667م)؛ "رفيدْر" (1677م.(

وعُرف (موليير) بأنه أشهر كتاب الملهاة في المسرحية الفرنسية. وكانت أشهر مسرحياته تتسم بالسخرية، وتظهر شخصيات قوية في نزاع مع التقاليد الاجتماعية. وألّف (موليير) أشهر مسرحياته الهزلية نحو عام 1665م. وكان من بين تلك المسرحيات الهزلية "طرطوف"؛ "دون جوان"؛ "مبغض الشر".

أما في النثر الكلاسيكي فقد كتب (رينيه ديكارت) "حديث عن الطريقة" (1637م)، وكان هذا الكتاب نموذجًا للتفكير العقلي. وكتب (بليس باسكال) أعمالاً نثرية تكشف عن عقيدته النصرانية العميقة. وأوسع أعمال (باسكال) الدينية انتشارًا هي مجموعة الأفكار المعروفة بعنوان: "بنزيس". وقد نُشرت هذه المجموعة لأول مرة عام 1670م، إلا أن المجموعة الكاملة لم تنشر بأكملها إلا عام 1844م.

ثم ظهرت جماعة من الكتاب تُدْعى بالأخلاقيين، وكانت هذه الجماعة تصف الأخلاق الإنسانية والسلوك في رسائل وأقوال سميت بالمبادئ الأساسية وغير ذلك من صيغ النثر الأخرى، ويعتبر الكتاب الساخر: "شخصيات

ثيوفراتسْ" (1688م) الذي ألفه (جان لا بروبير) نموذجًا للأدب الأخلاقي، فهو يضم مبادئ الناس الأساسية بالصور الأدبية والأنواع الاجتماعية في ذلك العهد.

وكتبت "مدام لا فاييت" واحدة من أولى الروايات المهمة في الأدب الفرنسي، وكانت بعنوان "أميرة كليفز" (1678م). وقد لقيت هذه الرواية ثناءً على ما احتوت من تحليل نفسي ومعالجة تتّسم بالمهارة.

أما (جاك بوسيه) فكان مؤرخًا وراهبًا من رهبان الروم الكاثوليك، وقد عُرف بصلواته التي كان يعقدها والتي برع في تقديمها بطريقة تحرك المشاعر. وكان (فرانسوا دو فينيلون) من كبار الأساقفة الكاثوليك. وكانت شهرته الأدبية تعتمد أساسًا على روايته العاطفية "تيلماشو" (1699م)، وكانت قصة عاطفية مليئة بأفكار المؤلف عن التعليم والأخلاق والسياسة والدين.

أما الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر ميلادي والذي يطلق عليه اسم عصر العقل أو عصر التنوير. ففي خلال هذا القرن صب الفلاسفة كبير اهتمامهم على العقل على أنه أحسن الطرق لمعرفة الحقيقة وكان معظم الأدب فلسفيًا يخرجه مفكرون كبار من أمثال (فولتير)، و(دينيس ديدرو)، و(جان جاك روسو) وكان (فولتير) أشهر رجال الأدب في عصره. وكان يستخدم مهاراته الأدبية لمحاربة الاستبداد والتعصب الأعمى، والترويج للعقلانية. وكانت أكثر أعماله شهرة هي روايته الساخرة بعنوان "كانديد" (1759م). كذلك فقد كتب (فولتير) بعض المآسي التي كانت إلى حد ما واقعة تحت تأثير مسرحيات وليم شكسبير.

ويعرف (دينيس ديدرو) إلى حدٍ كبير لكونه محررًا للموسوعة (1751 –1772م)، وهي من الإنجازات العلمية لعصر العقل. وكانت الموسوعة هذه مجموعة من المقالات العلمية المتعمقة أسهم بها كُتَّاب في مختلف التخصصات، ومنهم (فولتير)، (مونتسكيو)، (جان جاك روسو). وكان هذا العمل يهدف إلى أن توضح بطريقة عقلية آخر الاكتشافات العلمية .

واقترح (جان جاك روسو) تغييرات في المجتمع الفرنسي في روايته "إلوازا الجديدة" (1761م)، وفي التعليم في روايته "إميل" (1762م). وساعدت سيرة حياة (روسو) بعنوان: "اعترافات" التي نشرت عامي 1782 و1789م بعد مماته على بيان دور الأدب الحديث في مجال النقد الذاتي. وكانت حساسية روسو نحو الطبيعة قد أعادت إدخال مشاعر من التفكير العميق والشعر في الأدب الفرنسي. وتظهر هذه الحساسية بوضوح أكبر في "أحلام اليقظة للمتجول الوحيد "1782م.

وهناك عدد آخر من الكتاب أسهموا في عصر العقل، فقد كتب (مونتسكيو) نقدًا اجتماعيًا ساخرًا في رسائله الفارسية (1721م). وألف (ألين رينيه ليساج) رواية ساخرة مشهورة بعنوان "جيلْ بْلاسْ" (1715 –1735م). وألف (الأب بريفو) رواية عاطفية محببة إلى النفوس بعنوان "مانون لسكوت" (1731م). وكتب (بيير ماريفو) روايات عن الطبقة الوسطى، كما كتب بعض الهزليات اللطيفة عن مشكلات الحب كما تراها النساء. وكتب (بيير بو مارشيه) بعض الهزليات الساخرة مثل: "حلاق إشبيليا" (1775م)؛ "زواج فيجارُو" (1784م). وكلتا الروايتين تعالج طبيعة الامتيازات الأرستقراطية غير المعقولة وأسهمتا في الأفكار التي أدَّت إلى تكوين وعي اجتماعي بضرورة الإصلاح، ثم في اندلاع الثورة الفرنسية (1789– –1799م)، وفي أوائل القرن التاسع كانت الرومانسية إلى حد ما رد فعل ضد الكلاسيكية وعصر العقل. وكان الكتاب الرومانسيون يرفضون ما اعتبروا أنه العقلانية المفرطة والشكل الأدبي الذي فقد الحياة . ذلك الأدب الذي انتشر في الفترات السابقة. وكان الرومانسيون يؤكِّدون إبراز العواطف والخيال ليتغلبوا على العقل، كما أنهم ابتكروا صيغًا من حرية التعبير الأدبي أكثر حرية من غيرها. وكان الكتاب الرومانسيون منطوين على أنفسهم إلى حد بعيد إذ كانت شخصية الكاتب في أغلب الأحيان أهم عنصر في أي عمل أدبي .

وقد خلفت (مدام دي ستايل) أثرها الكبير على نظرية النقد الرومانسي الفرنسي حين أصدرت كتابها عن الأدب وذلك عام 1800م. وقد أدخلت الرومانسية الألمانية إلى فرنسا عندما كتبت كتابها عن ألمانيا (1810م). أما الشاعر (أندريه شينيير) فإنه أدخل عددًا من العناصر الفنية في شعره، ثم أخذها عنه الشعراء الرومانسيون وطبقوها في أعمالهم. وقد بدأ الشعر الرومانسي عام 1820م وذلك عندما نشر ألفونس (دو لامارتين) كتابه "تأملات شعرية". وكانت قصائده الحزينة تعالج الطبيعة والحب والوحدة

وكان (فيكتور هوجو) أكبر الشخصيات في الرومانسية الفرنسية، وكان متفوقًا في أعماله الشعرية والمسرحية والروائية مثل: "تحايا وقصائد متنوعة "(1822م) و"أوراق الخريف" (1831م.(

وعُرف (ألفرد دو فيني) بديوانه "قصائد عتيقة وحديثة" (1826م). وتتسم هذه القصائد بأنها فلسفية، وفي كثير من الأحيان درامية مثيرة وهي تتحدث عن أهمية الشقاء الإنساني وعزلة الفرد الراقي.

وامتاز(ألفرد دو موسيه) بموهبته الشعرية الفذة. وتتحدث قصائده الحزينة المكتئبة عن الحب والمعاناة والوحدة. وفي قصائده بعنوان" الأمسيات" (1835 –1837م)، وصف موسيه القسوة التي عاناها بفقد حبيبته.

أما المسرحية الرومانسية فعالجت موضوعات تاريخية ومواقف مثيرة جدًا، وفي أغلب الأحيان تخلط الهزل بالمأساة. وتبرز هذه المسرحيات بشكل واضح الألوان والمشاهد، وذلك بخلاف ما تقوم به المسرحيات الكلاسيكية ومسرحيات عصر العقل. وكتب فيكتور هوجو أول مسرحية رومانسية لها مكانتها وهي المسرحية التاريخية "هرناني " (1830، وكانت مسرحية (ألفرد دو فيني) "شاترتون" (1835م) تبرز شخصية محبوبة في الأدب الرومانسي وهي شخصية الفنان الذي تجاهله الناس. وكتب (ألفرد دو موسيه) بعض الهزليات المتعمقة والتي عُرفت بكلماتها اللماحة.

أما القصة الرومانسية فقد كتب كثير من المؤلفين الرومانسيين روايات تاريخية على غرار ما فعله الكاتب الأسكتلندي (السير وولتر) سكوت. وكتب ألكسندر دوماس (الأب) الرواية التاريخية المشهورة "الفرسان الثلاثة" (1844م) التي وقعت حوادثها خلال فترة حكم الملك لويس الثالث عشر وذلك في القرن السابع عشر الميلادي. وأظهرت رواية فيكتور هوجو "أحدب نوتردام" (1831م) الذوق الرومانسي المتعطش للقرون الوسطى.واندفع بعض الكُتَّاب الرومانسيين نحو أسلوب آخر في القصص يميل إلى الواقعية. وينضوي في قائمة هؤلاء المؤلفين كل من (أونوريه دو بلزاك) الذي كتب ما يقرب من مائة رواية وقصة جُمِعَت فيما بعد تحت عنوان "الكوميديا الإنسانية" (1842-1848م). وفي هذه السلسلة حاول المؤلف أن يصف المجتمع الفرنسي المعاصر بأكمله، وكذلك الكاتبة الفرنسية (أمانتين أروري) التي كان اسمها المستعار (جورج ساند) فقد كتبت" إنديانا" (1832)؛" ليليا" (1833م)، "البركة المعمورة" (1846م)، و"ستندال" الذي كانت أفضل أعماله "الأحمر والأزرق" (1830م)؛ "تشارتر هاوس بارما "(1839م .(

المحاضرة التاسعة: الأدب الإنجليزي.

كانت أقدم شكل للغة الإنجليزية هو ما يسمى بالأنجلو سكسونية، وهذه اللغة كانت متداولة ما بين الفترة من حوالي 600م إلى حوالي 1100م.

وأعظم قصيدة ظهرت في هذه اللغة هيBeowulf التي ظهرت في القرن السابع وهي عبارة عن قصيدة مكونة من 3000(ثلاثة آلاف) بيت وهي بمثابة أول ملحمة باللغة الإنجليزية ومؤلفها غير معروف.

ومن أبرز شعراء ذلك العصر" كايلمن" و"سنولف" والذي عرفت من قصائده" جوليانا" و"أقدار الحواريين" و"المسيح" و "إلين. "

وتسمى الإنجليزية التي استعملت ما بين 1100م إلى حوالي 1500م بالإنجليزية الوسيطة وأكبر شاعر فيها هو جيفري تشوسر وهو عادة ما يدعى بأبو الشعر الإنجليزي.

ومن قصائد هذا الأخير "حكايات كانتربَرِي" وهي تتكون من 17000(سبعة عشر ألف) بيت.

وهي تشكل حوالي نصف مجموع انتاج تشوسر، وهي عبارة عن حكايات يرويها مجموعة من الحجاج لتمضية الوقت في طريقهم من لندن إلى كانتريري حيث كنيستها العظيمة وقبر توماس أبيكيت، والقصيدة ككل تحوي أكثر من عشرين قصة مروية شعراً في الغالب.

وله قصائد أخرى منها" ترويلس وكرسيدا" (1377م)، و" أسطورة المرأة الطيبة" (1385م. (

أما من الأعمال النثرية التي عرفت في تلك الفترة " شكل الحياة الصحيحة" لريتشارد رول، وهناك " وفاة أرثر" لتوماس مالوري.

أما عن المسرحيات فكانت عبارة عن قصص دينية تمثل داخل أو قرب الكنائس، وكان يطلق عليها اسم " المعجزات" أو" مسرحيات الغموض أو التصوف" ومن أشهرها " نوح والطوفان" لتشستبر.

ثم جاء العصر الاليزابيثي الذي يؤرخ له النقاد من سنة 1579م وقبل هذا التاريخ ظهر شاعران مهمان هما (ألسير توماس وات) و(إيرل سري) وكل منهما كتب "السونتيات" وهي عبارة عن قصائد غنائية من أربعة عشر بيتاً

تخضع لوزن معين أو أوزان معينة، وكان (ألسر توماس مات) أول من كتب هذا الصنف، أما إيرل سري فكان أول من كتب الشعر المرسل في اللغة الإنجليزية .

كما طبعت سونتيات شكسبير عام 1609م ولربما كان إنتاجها بين عامي 1593م و1600م.

وبرز كذلك في هذه الفترة الشاعر" ادموند سبنسر" فأنتج عام 1576م و" روزنامة الراعي" وهي قصيدة طويلة في أثني عشر كتاباً كل واحد منها مخصص لشهر من شهور السنة، كما له" ملكة الجان" والذي ابتدع فيه ما يسمى في الشعر" المقطوعة السبنسرية" والتي تتكون من سبعة سطور أو أبيات، وكل سكر أو بيت يحمل خمس تفعيلات ما عدا الأخير فهو ذو ست تفعيلات.

أما من أفضل الغنائيات التي ظهرت في هذا العصر فكانت مبثوثة في المسرحيات لإمتاع الجمهور، فعلى سبيل المثال نرى في مسرحية شكسبير " الليلة الثانية عشر" قصيدة غنائية جميلة جداً.

أما في الرواية فظهر (جون ليلي) في روايته" يوفيس" عام 1578م، وكتب (روبرث جرين) "باندوستو" والتي أعطت شكسبير الحبكة لمسرحية" حكاية الشتاء. "

أما الروائي (توماس ناش) فكتب" حياة جاك ولتون. "

وفي عام 1597م ظهرت مقالات (فرنسيس بيكون) ولا تزال شعبيتها قائمة إلى اليوم.

وأهم المسرحيات التي كتبها شكسبير نذكر "ريتشارد الثالث" عام 1593م، و"ريتشارد الثاني " عام 1595م.

أما أول تراجيدياته فهي "روميو وجليوت" 1594م، وأول كوميدياته" كوميديا للأخطاء" 1593م، ثم جاءت بعد ذلك مجموعة من الكوميديات نذكر منها: "ترويض المرأة المعجزة" و"سيدا فرونا الفاضلان" و"المجهود المفقود للحب" و"حلم ليلة منتصف صيف" عام 1595م، والتي تشهد كمسرحية على قوة شكسبير المتنامية في الكوميديا.

وله كذلك مسرحية" تاجر البندقية" عام 1596، و"كما تحبها" عام 1599م، و"ضجة صاخبة حول لا شيء" عام 1598م، و"الليلة الثانية عشرة" 1600م، ومسرحية" الملك هنري الرابع" عام 1597م، و"هنري الخامس" عام 1799م، "زوجات ويندسور المرحات" عام 1606م،"يوليوس قيصر" عام 1599م،"أنتوني وكليوباترا"

1606، "كوريولانس" عام1607م، "هاملت" 1600م، "الملك لير" 1606م، "ماكبث" 1605م،"عطيل" 1604م.

ومن مسرحيات شكسبير الرومانسية نذكر "سيميلين" عام1609م، و"حكاية الشتاء" عام1610م، "العاصفة" عام 1611م، ويجمع النقاد على أن "العاصفة" لاهي آخر عمل كامل لشكسبير.

أما في القرن التاسع عشر فبرز روائيون منهم (جين أوستن) التي كتبت "ألينورو ماريان" 1795م ثم أعادت نشرها بعنوان" الحس والاحساس" عام 1811م، وفي عام 1796م ألفت "انطباعات أولى. "

أما (ماري شلي) فعرفت برواية الرعب التي كتبتها" فرانكنستاين" عام 1818م.

أما (ألسير والتر سكوت) فقد اتجه نحو كتابة الرواية التاريخية ومنها "اضجاع المغني الأخير" عام 1805.

كما كتب (أوسكار وايلد) بعض الأعمال القصصية أكثرها شهرة "صورة دريان جيري" عام 1891م.

وكتبت (تشارلز لامب) " مقالات إليا" عام 1823م، وكتب (وليم هازلت) مقالات بعنوان "شخصيات في مسرحيات شكسبير" عام 1818.

أما (تشارلز روبرت داروين) فقد تسنم مركزاً عالياً بين العلماء من هلال أعماله المبكرة التي عنيت بالوصف والتحليل العلمي للطبيعة والكائنات الحية فيها، ومن أعماله المبكرة "رحلة بحرية حول العالم لِعالِم طبيعة" عام 1839م، وجاء عمله "أصل الأنواع" 1859م، ثم "أصل الإنسان" عام 1871م.

هذا الكتاب الأخير الذي لقي نقداً لاذعاً من الكثير من النقاد والعلماء.

كذلك حاولت (فرجينيا وولف) أن تغوص وتعري عن شخصياتها في أعمالها ومنها "السدة دالووي" عام 1925م، ورواية "إلى الفنار" عام 1927م، ورواية "أرلاندو" عام 1928م و"الأمواج" عام 1931م.

أما (جراهام جرين) فقد قسم رواياته إلى قسمين: الروايات الجادة، وروايات التسلية، ونذكر من أعماله "برايتون روك" عام 1938م، و"القوة والمجد" 1940م.

وفي نهاية القرن التاسع عشر شاعت روايات التحري في أوساط الناس وحظيت بالإقبال الكبير عليها وخاصة قصص "شارلوك هولمز" التي كتبها (السير أرثر كونان دويل) وكل قصة من هذه القصص عبارة عن لغز، غير أن

القراء يطلعون في سياق القصة على معلومات وملابسات تساعدهم في حل لغز الجريمة أو السرقة، أما في القرن العشرين فأشهر كتاب روايات التحري فهي (أجاثا كريستي) فقدمت في سلسلة قصصها الأولى شخصية هيركول بويروت أما شخصيتها الرئيسية في سلسلتها الثانية فكانت الآنسة ماربل .